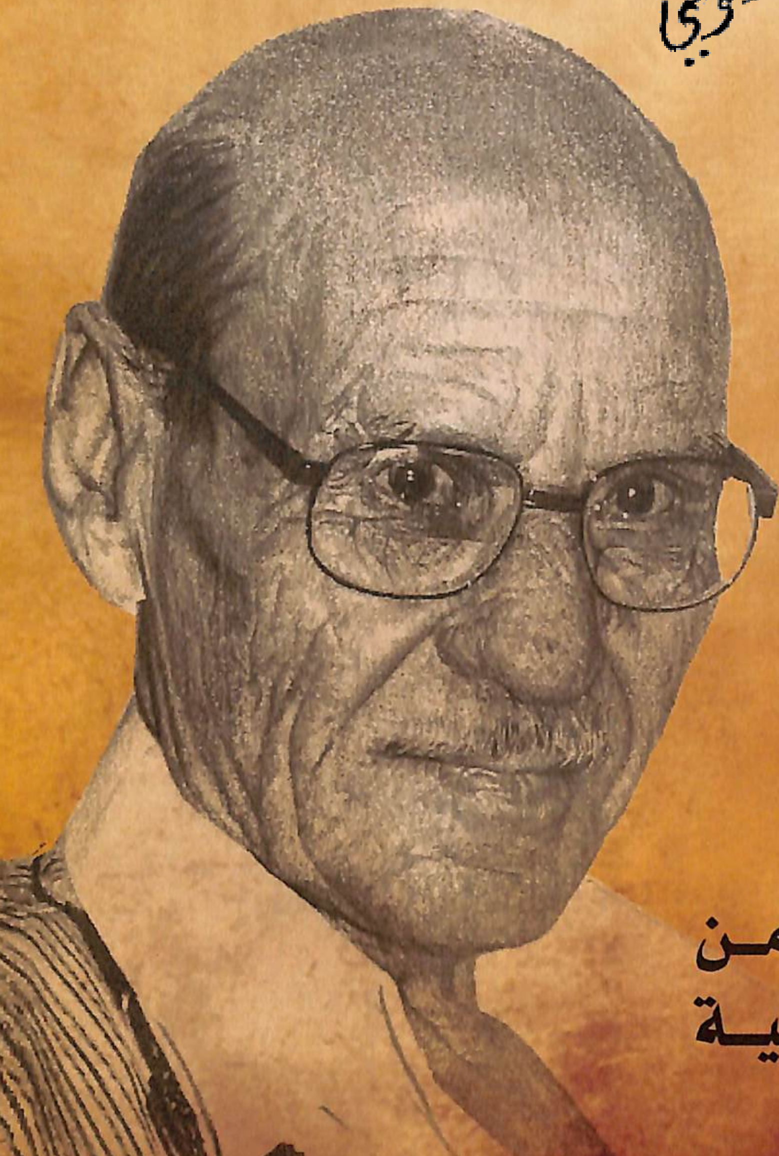
كامل الهادي عراب



ملامح من سيرة ذاتية

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

أتذكر.. لا أتذكر

ملامح من سيرة ذاتية

كامل الهادي عراب

أتذكر .. لا أتذكر

ملامح من سيرة ذاتية

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

كامل الهادي عراب

اتذكر لا اتذكر

الطبعة الأولى : 2020 م

رقم الإيداع المحلي: **2019/345**

رقم الإيداع الدولي: **9789959-921-192**

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: **7165022.21821+** - بريد مصور **4843580-21821+**

ص.ب: **75454** - طرابلس **Email: almosgb@yahoo.com**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم

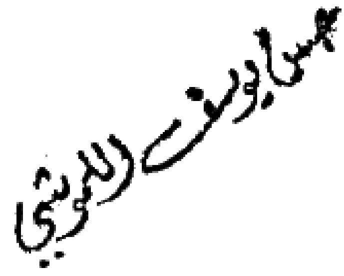
مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين

أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

ولا الضالين

صدق الله العظيم



كلمة أولي:

هذه ملامح من سيرة ذاتية، ولكن لماذا اخترت لها هذا العنوان — أتذكر لا أتذكر؟.

لأن أشياء كثيرة لم أعد أتذكرها بعد هذا الزمن الذي مر على أحداثها وهو يتجاوز نصف قرن فضلا على أنني أهملت بعض التفاصيل التي اعتقدت أنها لا تهم القارئ الكريم.

قلت مازحا لأحد ضباط المباحث القدماء قبل أن أشرع في تدوين هذا الكتاب «أنا بصدد كتابة سيرتي الذاتية فهل تعيروننا ملفاتكم عني لأراجع بعض الوقائع فلا أقع في الخطأ، فضحك الرجل كثيراً» فبيني وبين رجال المباحث طبعاً ما صنع الحداد طبعا هم كانوا يراقبونني وأنا كنت أراقبهم لأحذر منهم.

ذات مرة كنت في نادي الصيد والرماية القريب من الإذاعة احتسي بعض قناني الجعة فاقترب مني رجل مباحث يعرفني ولا يعرف أنني أعرفه حياني فتفضلت به وطلبت له مشروباً ثم أخذنا نتحدث معا في بعض الأمور العادية وعندما ألتفت لأكلم شخصا أعرفه من رواد النادي أدخل الرجل يده في جيب الجاكتة وسحب ورقة من ذلك الجيب ودسها في جيبه، لاحظت ذلك لكنني لم ألفت نظره إلى ما فعل إلا إنه عندما أخذ يستأذن لينصرف قلت له: أعد إلي الورقة التي أخذتها من جيبي فهي لا تفيدك في شيء أنها جدول تناوب المذيعين، وكان الرجل واسع البال فضحك وأعاد إلى الورقة، وذات مرة عندما كنت أسير على قدمي في قرقارش استوقفني رجل عجوز لم أعرفه وقال بعد أن سلم علي.

- أن أطلب منك أن تدعو لي بالسماح فأنا على أبواب القبر كما ترى قلت له: مذهولا.
- لا يا راجل ماذا بيني وبينك فأنا لا أعرفك لا مؤاخذة..
- قال: صحيح أنت لا تعرفني لكنني أنا رجل مباحث متقاعد وقد كلفت عدة مرات وأنا في العمل بمراقبتك وكتابة تقارير عنك ويشهد الله أنني لم أفتر عليك بشيء وكنت أقول الحقائق متجنباً قدر الإمكان ولا أضرك بكلمة..

فعانقته بحرارة وقلت له أن الله سبحانه سيسامحك قبل أن أسامحك أنا فأنت كنت تؤدي واجباً وظيفياً ودعوت له طويلاً ومن كل قلبي بالسماح ولم أكن لأحرج الرجل فاسأله

عن اسمه ولكي لا يظن بي الظنون، وافترقنا وأنا أفكر في مثل هذه النماذج الطيبة التي ربما أجبرها الزمن على عمل لعلهم لا يحبونه كثيراً أو لأنهم كانوا مضطرين من أجل لقمة العيش».

سيلاحظ القارئ أنني لم أذكر التواريخ فأنا في الحق لم أتذكرها لكنني حرصت قدر ما أخبرتني الذاكرة أن أجعل الأحداث متسلسلة بقدر الإمكان وعلى كل حال أكرر اعتذاري للقارئ الكريم عما يكون اعترى هذه الصفحات من هفوات وهي على كل حال بعض سيرتي وألمحتُ فقط الماحاً إلى الآخرين الذين ربطتني بهم علاقة بدون أي توسع فهي سيرتي أو بعض سيرتي وليست سيرة آخرين.

كامل الهادي عراب

2012/03/12

تهويمات

الربيع فى الرجبان

إذا كان الربيع تبدلت جلودنا - وللربيع في الرجبان طعم آخر – تحولت من جلود سوداء محرشفة إلى جلود متفتحة ناعمة وذهبت عنها القذارة التي تراكمت طوال فصل الشتاء من أثر الخوض في البرك والغدران أحياناً وقضاء ساعات حول النار في الحجرات المقفلة والتحصن بالجرود والعبي الثقيلة، ففي الربيع وفي الأيام الدافئة من هذا الفصل يبعث الأطفال بعثاً جديداً مثل الأشجار التي تورق في هذا الفصل ومثل الأزهار البرية التي تتفتح عادة مع حلول الربيع.

لكن حلول فصل الربيع لا يخلو من حلول بعض الآسي لدي الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة إذ تعود الأهل أن (يرحلوا) في هذا الفصل أما إلى الجفارة أو إلى الظاهر حيث المراعي الخضراء الشاسعة التي تجد فيها الأغنام مرتعا خصيبا طوال هذا الفصل فينصبون بيوت الشعر ويظلون هناك طوال شهور هذا الفصل، في مكان واحد أحياناً وأحياناً ينقلون البيوت إلى مراعي جديدة بعيدة أو قريبة ولكنها توفر للأغنام الكلأ والدفء حيث تتوالد وتدر الحليب بوفرة وحيث هناك حياة مختلفة تماماً تكسر الروتين وتجدد الإشراق والأمل والتفاؤل في النفوس، فأطفال المدارس محرومون من متع هذا الفصل وهم لا يلتحقون بالأهل إلا كل الخميس والجمعة أو في عطلة نصف السنة، ومع ذلك كلهم لديهم ذكريات عزيزة من حياة هذا الفصل بعيداً عن القرية وفي البراري الخضراء الممتدة على مرمي البصر..

فقد كان هذا الفصل هو فصل اصطياد العصافير وتربية اعشاش الطيور.. والطيور كانت تبني أعشاشها في كنف الشجيرات الكثيفة تحت أشجار الرتم أحياناً وأحياناً بين أشجار السدر وأحياناً عند فروع الطلح أو الأتل حسب طبيعة المكان الذي اختاره الأهل

لبناء (النزلة)*والأطفال كانوا يجوبون الأمكنة القريبة وعندما كانوا يكتشفون أعشاش الطيور حيث تصنع بيتها كانوا يؤمرون المكان بإمارة معينة ثم يأخذون في مراقبته إلى أن يفقس البيض وتكبر الفراخ وعندئذ كانوا يذبحونها ويشوونها بإعداد كبيرة .. وهو فصل (الترفاس) أيضاً وهو قبل ذلك وبعد ذلك فصل الحليب واللبن الحامض والزبدة والمخاض.. وهو فصل انطلاق البنات اللواتي يكن فى سن المراهقة أو سن الزواج ..

فعندما يجن الليل كن يخترن مكاناً قريباً من النزلة عادة ما يكون فوق ربوة عالية يتجمعن فيه فيمارسن ألعاباً مشتركة وتنطلق حناجرهن بالغناء، وهو نوع من الغناء يسمي (الطواح) ويؤدينه بأصوات عالية على شكل كورس جماعي يسمع من بعيد، ولم يكن أحد من الأهل يعترض على هذا الحضور البريء على الرغم من أن بعض البنات كن يعبرن عن حب بريء أو ميل نحو بعض شباب النزلة ويتم ذلك في شكل رموز وإشارات وتعبيرات تكون مفهومة عادة بين الفتي والفتاة، وهي بوابات التعلق بين الجنسين حيث تنمو هذه البدايات مع الزمن ثم تنتهي غالباً بالزواج، ولم يكن مسموحاً بالاختلاط، فالفتيان كانت لهم ألعابهم والفتيات لهن ألعابهن ولكن كل فريق كان يمارس ألعابه بعيداً عن الفريق الآخر، وليس مسموحاً أن يختلي الفتي بالفتاة وأن كان الاختلاط البعيد عن الشبهات مسموحاً به.. بل كانت الحياة مختلطة اختلاطا طبيعياً بين هذه العائلات نساء ورجالاً وليس هناك من تساوره نفسه في هذا الاختلاط بالخروج عن الأدب والحشمة.

كانت هناك لقاءات خاطفة بين الفتيان والفتيات ولكنها لقاءات تأتي مصادفة في الذهاب إلى التحطيب أو إلى الغنم** أو لقضاء حاجات معينة قريباً من النزلة .. وكانت هناك أحياناً بعض عبارات الغزل المتبادلة وبعض الأشعار وبعض الحوارات العاطفية ولكن الأمر لم يكن يتعدي إلى الإخلال بالتقاليد والعادات أو بحسن الشرف.. كانت العواطف بريئة مهما تكن جياشة ومشبوبة والعلاقات غالباً ما تنتهي إلى زواج..

وأمام كل نزلة كان هناك ما يسمي بـ (المراح) وهو فضاء فسيح تنيخ فيه الإبل والخيول وتقبل الأغنام وتبيت إلى أن (تمد) مع الصباح لترعي في مراعيها المعروفة.

وهذا الفصل يتميز بالحنان والألفة..

ولم تكن عائلتنا في الحقيقة تملك أغناماً كثيرة.. كان لدينا عدد قليل من هذه الأغنام

* - النزلة: هي مجموعة بيوت الشعر المتجاورة للعائلات التى أختارت أن تنزل مع بعضها في فصل الربيع وتضم قطعان أغنامها إلى بعضها حيث تنقسم الأغنام إلى قسمين (جلاد) (وحلابة) .. الجلاد.

** - ويضم الأغنام التي لم تتوالد ويكون مرعاه بعيداً قليلًا عن (النزلة) والحلابة هي الأغنام المتولدة حيث ترعي بعيد ولكنها تعود في الليل فتبيت قرب النزلة لحلبها وإرضاع الخراف أو الجزاء الصغيرة المعزولة عنها قرب البيوت.

يهتم بها أخوالي وخاصة خالي عمر الكيش وعلى بلحوق الكيش أخوا أمي والحاج محمد نفوير أبن عمها فهؤلاء انساب أبي وهم من قبيلة أخرى، من أولاد مسعود القريبة من قبيلتنا أولاد عبيد ولأنهم كانوا يملكون أعداد كبيرة من الأغنام ولهم رعاة يهتمون بهذه الأغنام فقد كانوا يربون شياهنا القليلة معهم وهي لا تشكل عبئاً عليهم، ولكنهم كانوا حريصين في فصل الربيع على أن نرحل معهم، وفي هذا الرحيل المشبع بالحياة والحركة والتنوع كان يستوي صاحب الشياه القليلة وصاحب الأعداد الوفيرة من هذه الأغنام، فهو فصل للمتعة بعيداً عن الجدران والحياة الرتيبة في القرية..

ولأن والدي كان من الوجهاء المعروفين، فقد كان بيتنا الشعر في نزالي الربيع غالباً ما يكون قبلة للضيوف الذين يتوافدون من كل مكان وكانت تقام ولائم في بيتنا تذبح فيها الخراف، وكان أبي يستقبل الناس بفرح كبير وبشاشة وكان أخوالي من الناس المعروفين بالكرم فبيوتهم أيضاً تكون قبلة للزوار ومتكئا للعابرين.

ولكم يكون فرحنا عظيماً نحن الأطفال كلما حل بالنزلة ضيف.. فحلول الضيف يعني الذبح واللحم والموائد الفاخرة وقصاع البازين و(الخبزة المرفوسة) *وكان شمل الرجال يلتئم في بيت واحد ويمتد السهر إلى ساعات طويلة من الليل..

ومن ذكريات الطفولة المبكرة أن بيتنا لم يكن يخلو يوماً من وجود ضيوف، وكانت لدي والدي أعداد من مجلة الرسالة وأعداد من مجلة ليبيا المصورة وكان لديه كتب كثيرة، ولقد لقنني في صغري قصائد شعرية من مجلة الرسالة وكان يقضي معي أوقاتاً طويلة ويساعدني على لفظها ونطقها نطقاً سليماً وفصيحاً..

لقد تعودت منذ سن مبكرة جداً على الحفظ، كان حفظ سور قليلة من القرآن الكريم عاملاً مهماً في صقل النطق وتدريب اللسان والأذن على الإيقاع وموسيقي الكلمة.. وكان والدي فخوراً بي إذ أتجاوب معه في حفظ أبيات من تلك القصائد أو أحياناً القصائد كاملة عندما تكون قصيرة، وكان يطلب مني إذا حضر بعض الضيوف أن أقوم بإلقاء تلك الأشعار بينهم فتعودت أيضاً على الشجاعة الأدبية وكان ذلك يبعث في نفسي زهواً لا حدود له.. وكنت أفتخر على أقراني بهذا التميز وهذه الحضوة عند أبي.. كان يأتي إلينا في الربيع أو في فصل الصيف في القرية فرقة من شيوخ الصوفية كانوا يسمونهم الفقراء (عرفت فيما بعد أن لهم زاوية وطريقة صوفية). ووالدي كان يحترم هؤلاء الناس جداً وكانوا يقيمون لدينا في المربوعة عدة أيام كل عام ثم يعودون محملين بكميات من

* - االتريد.. أو المتردة الخ.

الشعير والقمح والصوف والسمن والزيت وكان والدي يدعونا إلى تقبيل رؤوس هؤلاء الناس الذين كانوا يرتدون ملابس خلقة أشبه بالاسمال ومع ذلك يجلبهم أبي فيجعلنا نقبل رؤوسهم وأيديهم.. وكان هؤلاء كثيراً ما يصنعون حلقة في الليل ويأخذون في إنشاد الأذكار حيث كانت المربوعة على إتساعها تكتظ بأهل القرية إذا كان الأمر في الصيف أو بيتنا الشعر إذا كانوا قد حضروا في فصل الربيع، وقد تعلقت بهؤلاء الناس وكنت أرى أن والدي مادام يحبهم ويحترمهم على هذا النحو فلابد أن يكونوا من أهل البركة، وقد غرس أهلنا في نفوسنا منذ الصغر احترام هؤلاء الناس وحبهم.. وكنا عندما تنظم حلقات الذكر نجلس في الخلف ولكننا نركز انتباها شديداً على الكلام الذي ينشدونه ونتبارى في حفظ القصائد والمدائح التي تدور على ألسنتهم ولذلك كنا نحفظها بسرعة من أجل أن نشارك في الترديد وكنا نحرص على أن نردد بصوت يعلو على كل الأصوات حني نلفت الأنظار إلى أننا حفظنا القصائد بسرعة وأننا حفظنا النغم والإيقاع جيداً إذ أن ذلك سيكون فيما بعد محل ثناء من الشيوخ والأهل، ففي هذه السن الصغيرة حفظت ومبكراً جداً البردة والهجزية وقصائد في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام..وعندما أتذكر ذلك، ومازالت أحفظ بعض تلك القصائد أو بعضها، أتذكر الآن وأنا في هذه السن أن فصاحة اللسان اكتسبناها حتى قبل أن ندخل المدرسة أو الكتاب.

وما أكثر ما أستفدت من هذا الحفظ فيما بعد عندما كبرت قليلاً، وعندما كنا نجلس في ليالي الصيف جماعات جماعات في صفحة ماجن* الصنمات القريب من مسجد سيدي أبو يحي بأولاد عبيد وكان عدد من أبناء العم الأكبر منا قليلاً يجعلوننا نتحلق حولهم وننطلق فيما كنا نسميه في ذلك (مطارحات شعرية) وهو نوع من المباريات في استعراض المحفوظات إذ يستهل أحدنا المبارات بالبيت المعروف تيمنا وتبركا.

إلا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل

ونتناقش بعد ذلك في من يكون الأسرع في الرد حيث لابد أن يكون الرد ببيت يبدأ بحرف القافية الذي قيل قبله.. فمثلاً يسرع أحدهم إلى الرد:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

* (1) الماجن: هو البئر تتجمع فيها مياه الأمطار.

فيقول آخر:

ما أنت أول سار غره قمر

ورائد أعجبته خضرة الدمن

فيبدأ الآخر بحرف النون وما أكثر ما كنت أقول من باب السخرية في مثل هذه الحالات:

نبئت أن فتاة كنت أخطبها

عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

وهكذا..

وبيتنا بيت ثقافة وأهلنا متعلمون ولقد كانت لدي والدي مكتبة غنية بالكتب والمخطوطات.. كان فيها عدد هائل من المخطوطات ولكنها سرقت بكل أسف وقبل أن أكبر وأتعلم وأعرف قيمتها.. إن صورتها في ذهني ولكنني لم أعرف عناوينها ولا محتواها، كانت مخطوطات يتبادلها ويتداولها أهلي وأخواتي وأبناء عمي فيقرأون فصولاً ثم يعيدونها إلى الدار المخصصة لها، أو كانوا يستعيرون مجموعة أوراق (ملزمة) من المخطوط الذي لم يكن مجلداً بالطبع ثم يعيدونها ويضعون الأوراق في مواضعها، وهي لها أغلفة من الجلد العتيق، فضلاً عن كتب أخري حديثة في زمانها، وأذكر أن كتاب سكان ليبيا كان موجوداً في بيتنا في ذلك الوقت وهو مترجم إلى العربية إلى جانب النص الإيطالي وكثيراً ما كان أبي وأعمامي يقرأون من هذا الكتاب ويتناقشون في أسماء القبائل وأصولها وجذورها.. أما المكتبة فقد سرقت بعد وفاة أبي بسبب الطمع والأنانية من أشخاص لا يعرفون قيمة الكتاب بل هم أميون أصلاً.

ففي احدى السنوات وكنا (راحلين) في فصل الربيع أتذكر أنني عدت مع والدتي إلى القرية بسبب لا أذكره الآن فاكتشفنا أن المكتبة وجميع محتويات الغرفة التى بها المكتبة قد سرقت بالكامل وتم تحطيم الباب والدواليب ولم يبق إلا بعض الأوراق الشخصية الغير مهمة وبعض المتاع والحاجيات التي لا تهم اللصوص، وعرفت فيما بعد أن الذين سرقوا المكتبة كانوا يبحثون عن (حجج) ملكية الأراضي والعقارات والأشجار في المنطقة فقد كانت هذه الحجج والحبوس والأوراق تسلم لأبي كأمانات وهو يقوم بحفظها ومنها (حجج) البيع والرهن وما إلى ذلك.. ولم ينج من هذا النهب سوي صندوق حديدي به حجائج أملاكنا وأملاك العائلة ولا أدري أين كان مخبئاً حتى نجا من السطو.. الآن أنا حزين على ضياع تلك الكتب والمخطوطات بعد أن تعلمت وعرفت قيمتها.

ويبدو أن أبي كان قارئاً جيداً وقد لمست ذلك من خلال الكلمات الفصيحة المتناثرة التي تتردد على لسان أمي من حين إلى آخر، وهي أمية بطبيعة الحال ولكن الكلمات كانت فصيحة تسربت إلى لسانها من خلال التداول في البيت.. إذ ما أكثر ما سمعتها مثلاً تقول بعد وفاة أبي عندما كنا نطلب منها حاجة ما: ما في الجبة غير الله..

ولم أكن أعرف ما معني هذه الكلمة، بل ربما كان يخيل إلى وأنا صغير أنها كلمة قريبة إلى الكفر إلى أن عرفت فيما بعد أن كبرت وتعلمت أنها كلمة الحلاج الصوفي الشهير.

وأمي إلى ذلك كانت تميل إلى السجع حتي وهي تدعو علينا إذا ضايقناها في أمر من الأمور، وكان دعاءها علينا يأخذ صيغة غريبة تضحكنا أكثر مما تزعجنا، وكان قسمها غريباً إذا أرادت أن تقسم لسبب من الأسباب..

كانت تقسم أحياناً وهي تجلس في صحن البيت تنقي الشعير من الشوائب استعداد لرحيله في الليل:

- **وعاهدها النعمة ونساسيها على صهيب كاشانا قتال مسعود خويا ما نكساب حاجة!.**

وهي تقسم بالنعمة، وللنعمة جلالها واحترامها وتقول بأنها تتسولها على (صهيب كاشانا) الذي قتل أخاها مسعود أي أن يفقرها الله إلى حد أن تتسول عند قاتل أخيها إذا كذبت.. وقصة صهيب كاشانا الذي قتل أخاها قصة محاطة بكثير من الغموض والتساؤلات إذ تذكر الروايات أن مسعود الكيش أخا والدتي كان شاباً وفارساً وكان يتسابق على جواده في أحد أفراح القرية مع (صهيب كاشانا) فأطلق كاشانا النار في غمرة السباق فأصاب مسعود الكيش الذي سقط قتيلاً ويبدو أنهما كانا يتنافسان على فتاة في القرية فسرت إشاعات بأن القتل كان عمداً وهي رواية لم تصح حتى اليوم ولكن أمي مصرة على أن أخيها مسعود مات قتيلاً فكانت دائماً تقسم هذا القسم الذي هو أقصى التشدد في التدليل على صدق ما تقول..

وكانت شاعرة أو تحفظ الشعر لست أدري حتى الآن على اليقين.. وكانت بعد وفاة أبي كثيراً ما تختلي بنفسها وتأخذ في بكاء صامت وتغمغم بعض الأشعار في نغمة حزينة مؤثرة..

ومع أننا لم نكن فقراء تماماً بعد وفاة أبي إلا أننا وجدنا رعاية من أخوالي بعد وفاة أبي، فأخوالي كان لهم فضل كبير علينا في حالات الشدة والحاجة وخاصة خالي عمر الكيش وأحياناً على بلحوق لكن أمي كافحت كثيراً من أجل تربيتنا وكرست عمرها لنا، ومع أن خطابا طرقوا بابها بعد أن ترملت إلا أنها رفضت الزواج وكانت تقول كلمة مشهورة:

■ **بعد السيف ما نعلقش منجل.**

وكان والدي سيفاً حقيقيا..

كان فارساً حقيقياً..

ولقد رباني والدي حتى بعد أن انتقل إلى جوار ربه..

أجل رباني والدي بعد وفاته.. فلقد كنت صغيراً عند وفاته لا يتجاوز عمري ثمانية أعوام ومع ذلك كان كل من يصادفني من أهل القرية يوقفني بشئ من الصرامة وهو يقول:

■ **رد بالك، بوك كان راجل.. هه دير بوك بين عيونك!.**

كانت هذه الكلمة وكلمات شبيهة كالمطارق تقرع فوق رأسي كلما صادفني إنسان وتعرف علي، بل حتى عندما جئت إلى طرابلس بعد ذلك بسنوات وكان بعض الناس من أهلنا النازحين إلى المدينة يصادفونني في الشوارع فيستدلون على ملامحي وإذا سألوني وعرفوا أنني ولد الهادي عراب شرعوا يرددون على مسامعي نفس الكلام ونفس النصائح حتى أن الأمر تحول إلى رقابة اجتماعية صارمة وما أكثر ما وجدت تلك المطارق تدق رأسي كلما اقتربت من ارتكاب خطأ أو إتيان زلة من زلات الطفولة والشباب فيما بعد..

فأبي له سمعته ومكانته بين الناس وشهرته كفارس ورجل شجاع وله مكانة خاصة وسيط حتى في طرابلس نفسها..

فمن أصدقائه الخلص في طرابلس على بك القره مانلي الذي كان أبي ينزل عنده في بيته كلما حل بالمدينة وأسرتنا على علاقة تصل إلى حد الأخوة فنحن في الحقيقة أسرة واحدة، ومن أصدقائه الحاج رمضان ميزران رحمه الله والشيخ أبو الإسعاد العالم مفتي ليبيا الأسبق والشيخ نديم بن موسي صاحب جريدة الرقيب العتيد وعشرات الأسماء الأخرى من الأسر المعروفة الذين لا أستطيع أن أحصيهم وهو له مواقف وشهرة وكان معروفاً في تاجوراء والقره بوللي حيث كان عمي حسن رحمه الله مدير ناحية في هذه المناطق وكان أبي يتردد عليه بين الحين والحين،وأبي نفسه كان مدير ناحية في الرجبان وجدي رحمه الله عمر بك عراب كان قائمقاماً أيام الحكم العثماني وتنقل في مناطق عديدة من ليبيا حاكماً إدارياً مشهوراً، حتى أن صديقي محمد أبو أميس عندما كان يحضر لرسالة عليا في الصحافة وكان يتردد على محفوظات السراي الحمراء من الصحف أمام العهد العثماني أحضر لي قائمة طويلة بأسماء الصحف وتواريخها تتناول أخبار جدي كلما حل بمدينة طرابلس، ومن الغريب أننا لا نملك صورة فوتوغرافية لجدي على الرغم من

أن المرحوم الحاج على فكينى ذكر لي أن لجدي صورة منشورة على صحيفة (الفيجارو) الفرنسية وأن نسخة من هذه الصحيفة موجودة لدي محفوظات بلدية (قبليّ) بتونس ولكنني لم أبحث عنها حتي الآن.

ووالدتي عاشت في أجواء العز والوجاهة التي كان عليها أبي وعائلتنا عموماً وهي لذلك رفضت الزواج بعد وفاة الوالد وكرست حياتها لتربيتنا وتنشئتنا على مبادئ الفروسية والشرف..

وتربيت أنا في هذه الأجواء وخلقت هذه التربية لدي عزة النفس وكانت صورة أبي دائماً أمام عيني فكنت دائماً أعمل له حساباً حتى وهو ميت رحمه الله.

ووالدي توفي في مدينة طرابلس عام 1943م بعد معاناة طويلة مع المرض في مستشفي طرابلس المركزي. وتوفي في بيت عمي عبد السلام الذي كان يسكن بفشلوم، وعلى الرغم من أن والدي كان قد أوصى بأن يدفن في مقبرة سيدي منيدر إلا أنه دفن في سيدي بوكر بناء على نصيحة الشيخ أبو الإسعاد العالم الذي قال للعائلة حسب الرواية التي سمعتها فيما بعد بأنه لا يجوز تخطي مقبرة المسلمين القريبة من فشلوم "سيدي بوكر" وكان الأمر كذلك..

لكن المأتم الكبير أقيم في الرجبان .. لقد وصل نبأ وفاته إلى الرجبان وكان عمري آنئذ ثماني سنوات أو أقل قليلاً، وفي ذلك اليوم نصب الطبل وتحلقت نساء القرية حوله يندبنه ويعددن على الطريقة المعروفة، وأذكر أن عدداً من الرجال جاءوا إلى مكان المأتم فنحوا النساء وتقدموا هم وشرعوا يضربون الطبل ويدورون حوله في عويل يشق القلوب والرجال لا يفعلون ذلك إلا نادراً وعندما يكون الميت علما مشهوراً وفارساً وسيفاً بين أهله وقبيلته..

ووفاة أبي جعلت السنوات القليلة التي قضيتها في المدرسة موزعة بين عدة مدارس، وكنت أنتقل بين مدارس عديدة بسبب تناوب أخوتي على رعايتي أو بسبب تنقل هؤلاء الأخوة نفسهم بين أماكن العمل وأحياناً كنت أقضي السنة الدراسية الواحدة بين عدة مدارس وربما لهذا السبب ليس لدي أصدقاء دراسة تستمر صداقتهم إلى ما بعد الدراسة ولقد درست في مدرسة الرجبان الابتدائية وفي مدرسة غريان وفي مدرسة شارع الزاوية بطرابلس وفي مدرسة شارع ميزران المركزية.

وقد درست علي يدي الأساتذة على تنتوش رحمه الله الذي أصبح فيما بعد أمين خزانة في الدولة بعد الاستقلال وعلي يدي الطاهر الشكشوكي والطاهر غولة والأستاذ

سليم الشيشكو والأستاذ على المنتصر (الديبلوماسي المعروف) وكان بين أساتذة المدرسة في شارع ميزران أيام كنت تلميذاً الأساتذة أبو بكر ساسي والأستاذ على الزنتوني أستاذ الرياضة والأستاذ كاظم نديم أستاذ الأناشيد والموسيقي وكان مديرها المرحوم مصطفي المبروك أشد مدير مدرسة عرفته في تلك الأيام وبين أساتذتها أيضاً الأستاذ محمد مسعود فشيكة.

أما مدرسة غريان فقد كان انتقالي الأول لها عندما غادرت الرجبان لأول مرة وهي التي فتحت عيني على أفق جديد وحياة جديدة مختلفة تماماً عما الفته من قبل.. فغريان مدينة على كل حال وبها إدارات حكومية ولها بلدية ومركز بوليس وثكنات للجيش الانجليزي وقد كانت ليبيا لم تستقل بعد وأن كانت الحركة الوطنية فى عنفوان تأججها في ذلك الوقت..

ولأنني جئت إلى غريان مسلحا بنصائح أمي الملحة بأن أجتهد في دراستي ولأن أخي محمد رحمه الله قد مهد لمجيء بدعاية بين زملائه الموظفين والمعلمين تشيد بتميزي كما كان يتصور فقد فرضت على كل هذه الملابسات أن اجتهد بالفعل وأن احصل على التميز لأكون عند حسن ظن أمي وحتى لا أكذّب أخي فيما ذهب إليه ثم ولكي أتحدي تلك المجموعة من التلاميذ التى أحاطت بي في بهوا المدرسة في أول أيام التحاقي بها والتي قالت لي بازدراء:

■ **كابو ما تفرحش بيها توا يلقفوها منك الكوبيدي..**

فقررت بعد أن عرفت ماذا تعني كلمة (كابو) أن أكون كابو بالفعل! (كابو معناها رئيس أي عريف فصل).

لكن تظل الرعاية التي احاطني بها أستاذي مصطفي الأسطى رحمه الله ذكري جميلة ما تزال تعيش في قلبي إلى الآن.. كان معلماً من معلمي مدرسة غريان الابتدائية.

وكان نموذجاً للأستاذ المخلص لمهنته والذي يحب تلاميذه مثل أبنائه وكان شديداً بعض الشيء ولكنها شدة الأب الحريص على مصلحة أبنائه.. ومع أن هناك أساتذة محترمين في تلك المدرسة (مدرسة غريان الابتدائية المركزية) مثل الأستاذ عمر الشيتوي والأستاذ بدر الدين اليعقوبي والشيخ الطاهر والشيخ الفيتورى فضلا عن الرجل الفاضل الشيخ اللموشي مدير المدرسة رحمه الله، إلا أن ذكرى أستاذي الجليل مصطفى الأسطى تظل حميمة إلى نفسي كلما تذكرت أيام الدراسة في غريان، فلقد حصنى بمعاملة كريمة وكان

يرسلني لقضاء بعض الحاجات من بيته في أحيان قليلة، وكنا نعد ذلك شرفا للتلميذ وإعزازا خاصاً من قبل الأستاذ، وكنت متفوقاً في دروس الإنشاء والتعبير والإلقاء في حصص القراءة فقد كنت اقرأ قراءة سليمة بفضل تدريبات أبي لي الحفظ والنطق، وبفضل السنوات القليلة التي قضيتها في الجامع قبل الالتحاق بالمدرسة وحفظ بعض سور القرآن الكريم، وربما كان ذلك سبباً في اختياري في منافسة عامة بين تلاميذ المدرسة لأن أكون خطيب مدرسة غريان الابتدائية عند أول زيارة قام بها الزعيم الراحل بشير السعداوي زعيم حزب المؤتمر الوطني إلى غريان محرضاً على طلب الاستقلال ورفض الصبغة الفيدرالية التي كانت مطروحة بقوة في ذلك الوقت..

فقد أجريت منافسة بين التلاميذ المتفوقين لإلقاء خطبة المدرسة التى شارك في إعدادها عدد من المدرسين بينهم الحاج مصطفي الأسطى، ووقع الاختيار علي خطيباً ومن المصادفات الجميلة أن يقع الاختيار على أصغر تلميذ في المدرسة ليكون إلى جانبي أثناء إلقاء الخطبة وسط حشود الجماهير وبين يدي الزعيم الكبير فكان ابن عمي الشقيق محمد حسن عراب، ولم يكن ذلك حدثاً عادياً في حياتي.. لقد جري تدريبنا لعدة أيام على الوقوف في مقدمة الصفوف الحاشدة بالآلاف التي جاءت من كل مكان من جميع قبائل غريان والجبل الغربي لتستقبل السعداوي معبرة عن تعلقها بالاستقلال، وكيف يكون الصوت جهورياً حتى يصل إلى أقصى مكان في تلك الساحة الكبيرة الشاسعة ولم يكن هناك مكبرات صوت في تلك الأيام، وكان حاضراً مع الزعيم خطيب الحزب أستاذنا الجليل على مصطفى المصراتى الذي ألقي خطبة عصماء في الوطنيّة والدعوة إلى إجلاء الانجليز وطلب الاستقلال التام أو الموت الزؤام، فتصور أية رهبة تملكني وأنا في ذلك الموقف العظيم، ومع ذلك كنت رابط الجأش متمالكا فألقيت الخطبة التي قوطعت بالهتاف والتصفيق عدة مرات فأحسست بفخر لا حدود له وهو نفس الفخر الذي أحس به أهلي وأعجبت بنفسي كثيراً وخاصة أنني ارتديت بدلة عربية هي كاط كامل استعرته من عمى امحمد الذي كان قصيراً إلا أن طوله قريب من طولي.. فكوني ارتدي هذا الكاط الملف الفاخر لأول مرة وأكون خطيباً على هذا النحو بين يدي زعيم كبير وخطيب سيطه يطبق الأفاق هو الأستاذ على المصراتي، ويتهامس الناس بأسمى ويصفقون لي فهذه ولا شك زلزلة في حياتي وكانت محل حديث لعدة أيام ومحل فخر لعائلتي في غريان ولأهلي في الرجبان الذين بلغهم خبر هذه الخطبة، ولكن أمي كان فرحها من نوع خاص فقد أخبروني بعد أن عدت في الصيف إلى القرية أنها بكت كثيراً وهي تسمع الخبر وفرحت

كثيراً وغمرتها السعادة وقضت ليلة كاملة مع عجائز القرية وهي تتحدث عن هذا الطفل الذي هو أنا وكيف سيكون ولدا مهماً في حياته!!.

يومها أحسست بأنني أشفيت غليلي من أولئك الذين قالوا لي في بهو المدرسة يوم كنت ارتعد من الخوف والخجل والشعور بالعزبة في أول يوم التحقت بها بأنني لن أفرح كثيراً وأن الكابوات سينتزعون مني (الكابوية) بعد أيام!.

لكن هذا الانطلاق في أوساط مدرسة غريان لم يلبث أن أصيب بانكسار حزين سيكون له أثر كبير في حياتي فيما بعد ولعله هو السبب في فشل دراستي النظامية كلها وتوقفي عن المواصلة بعد سنة واحدة فوق الابتدائي هي السنة الوحيدة والتي لم أكملها في (الكلية الفنية) معهد التدريب الفني والكتابي كما سميت فيما بعد في شارع هايتي بمدينة طرابلس ولذلك حديث آخر.

ومرة أخرى أن متعة الربيع في أراضي الرجبان لا تضاهيها أية متعة أخرى فلقد كنا صغاراً عندما كنا نذهب مع أهلنا للإقامة في بيوت الشعر خارج القرية قبل أن ندخل المدرسة فتكون أيامنا صبوراً متصلاً وفرحاً وجذلا يدوم طوال النهار والليل.. ولن ينسى المرء ذلك البساط السندسي المزخرف بألوان الزهور وتلك الروائح الفواحة التى تضوع من كل مكان وتلك الجداء والخراف الصغيرة التي تثغو وهي معزولة عن أمهاتها في (الربق) وهي تتقافز منطلقة بين الحين والآخر نحو الأمهات لترضع من أثدائها المثقلة بالحليب فتحنو عليها ويتحول المكان إلى مشهد من التعاطف والمرح ينطبع في الذاكرة مخصباً وحميما..

ولكننا حرمنا من متعة الربيع عندما انتسبنا إلى المدرسة ولم نكن نستفيد من هذه المتعة إلا في أوقات قصيرة متقطعة..

لقد ترك أهلنا عادة الرحيل في فصل الربيع وثمة أجيال جاءت بعدنا وهي لا تعرف هذه المتعة وتبدلت الطبيعة هي الأخرى فأجذبت الحقول التي كانت مترفة بالأعشاب والنوار والمراعي وزحف التصحر بعد أن قلت الأمطار، وعندما يتذكر المرء ما كان يحدث في الماضي ويقارنه بهذه الأيام القاحلة يصاب بالغم والأسف فلقد حرمنا وحرم أبناؤنا من متع الطبيعة الساحرة ولاذوا بجدران الأسمنت لا يبرحونها على توالي الفصول..

الصيف..

بعد أن انتهت السنة الدراسية وأغلقت المدرسة أبوابها غادرت غريان وعدت إلى الرجبان.. وهذه العودة تكون دائماً مقرونة بالشوق واللهفة فالرجبان دائماً هي حشاشة القلب ومولد كل فرح..

الواسطة الوحيدة التى تصل غريان بالرجبان هي (الكوربيرا) الاوتبوس الحمراء المشهورة المجهزة بكراسي من الخشب في صندوق يتسع لثلاثين أو أربعين راكباً وهي تقوم برحلة كل أسبوع فيكون في انتظارها خليط من الناس من الرجال والنساء، موظفون يعودون إلى أهلهم في إجازات وتجار بقالون يحملون بعض الصناديق المعبأة بأنواع من البضائع وصرر وقفف مملوءة ببعض الهدايا والحاجات الشخصية ولكن أغلبهم يعرف بعضهم بعضاً.. فليبيا كلها كانت صغيرة وأهلها يعرف بعضهم بعضا بسهولة فما بالك بمنطقة الجبل الغربي ولذلك تكون الرحلة التى تقطعها الكوربيرا في يوم كامل غير مملة كثيراً حيث يتبادل الناس الأحاديث والقصص والذكريات فضلاً عن أن ركوب السيارة في تلك الأيام كان وحده متعة.. وعندما كانت الكوربيرا تصل إلى محطة (راس علي) التي تقع خارج قرية الرجبان دائماً يكون هناك من ينتظر القادمين بوابة للعودة بهم إلى القرية على مسافة بضع كيلومترات وهي مسافة لا يمكن قطعها على الأقدام لمن يحمل معه متاعا أو بضاعة. لذلك ينتظر الأهل الذين يتوقعون مجيء أحد أقاربهم ومعهم حمار يحملون عليه الأثقال أو يتخذه القادم ركوبة وخاصة إذا كان من المسنين..

وكان أخي يحملني ببعض الأشياء للأهل في قفف بينها بعض الحلوى والمكرونة وخبزة الكوشة وبعض الخضروات والطماطم المعلب وإذا كانت الحالة ميسورة بعض الملابس الجديدة لبعض الأخوة أو الأخوات أو العجائز وكنت أجد دائماً من ينتظر في عودتي كلما انتهت السنة الدراسية فإذا وصلت إلى البيت في القرية وجدتهم في انتظاري ويكون يوم فرح بحضوري وبما أحضرت ويبدأ فصل جديد من الحرية والمتعة حيث لا التزامات ولا دروس ولا مذاكرة وحيث في فصل الصيف تكثر الأعراس والعراريس* ويكون للصيف طعم آخر مختلف.

• • •

* - العراريس جمع عراسة وهم مجموعة من الشباب ينظمون للعريس (عراسة) تتغذى كل يوم في بيت أحدهم ولهم ألعابهم الخاصة ولهوهم الخاص وقد كتب الأستاذ محمد سعيد القشاط كتابا خاصاً اسماه (حكومة العراسة) وهي حكومة بالفعل لها نظامه وشروط والخ، راجع كتاب القشاط.

سنوات وسنوات

إنها سنوات صوّح فيها الزرع وجف الضرع وشهدت ليبيا توزيع المؤن بالحصص ووفق نظام دقيق حسب شهادات البلدية بعدد النفوس فكانت كل عائلة تحصل على نصيبها المقدر من المواد التموينية بإشراف شيخ القبيلة وشيخ الشارع وصرفت دفاتر (حمراء) بها عدد من الكوبونات الشهرية لهذه المواد وكان الخبز نفسه يوزع في المدن في محلات معينة وفق هذا النظام وسمي عام 1947م عام (الجرامات) أي عام الحصص وأصبح عاما يؤرخ به للمواليد وللأحداث البارزة والوقائع الاجتماعية بين العائلات..

ونزحت العائلات بإعداد هائلة إلى مدينة طرابلس فتكونت على أطرافها مدن الصفيح أو ما يسمي (بالكامبوات) ومفردتها (كامبو) وهي كلمة إيطالية تعني التجمع السكاني.. لقد كانت نواة بعض هذه الكامبوات موجودة حتى قبل أعوام الفقر تلك.. كانت كامبوات أوجدها الإيطاليون لعائلات بعض المجندين الذين تم تجنيدهم اجبارياً في الجيش الإيطالي ودخلت بهم إيطاليا الحرب ولكنها توسعت بعد ذلك بسبب الجفاف الذي أصاب ليبيا والتجنيد الإجباري ظاهرة عرفتها ليبيا في سنوات الحرب وكان يطلق عليه أيامها الـ (كياماتا) أي النداء والدعوة إلى التجنيد إجبارياً..

توسع في تلك الأيام كامبو سيدي منصور وكامبو الباتاريا وكامبو بورتا بينيتو، وهي مناطق سكنية كبرت حتى أصبحت مدنا كاملة من الصفيح لها مشيخات ولها نظام اجتماعي يكاد يكون خاصاً، منتشر فيها مظاهر التخلف والفقر وكل علامات البؤس..

كان أخي عمر قد هاجر إلى بنغازي أما أخي لامين فقد التحق بالشرطة وعمل يحرس السجون بطرابلس، فأما عمر فقد كان حظه أحسن من لامين إذ كان يلم باللغة الإيطالية

ثم تعلم اللغة الانجليزية بسرعة (أصبح فيما بعد من القلائل الذين يجيدونها) ولذلك سرعان ما وجد عملا إداريا في مدينة بنغازي مع أحد الموظفين الانجليز الكبار ويبدو أن ذلك المسؤول الانجليزي كان له نفوذ إداري كبير وكان مسؤولا عن صرف اذونات العمل ولذلك أفاد عمر من هذا الوضع فيسر بعشرات العمال المهاجرين من أهالي الرجبان والزنتان والجبل الغربي بصفة عامة أن يلتحقوا بأعمال يدوية وعضلية، في العديد من المواقع وفي معسكرات الانجليز على الخصوص، وما يزال كثير من أهالينا الذين عاصروا تلك المرحلة وكانوا من النازحين إلى المناطق الشرقية يذكرون فضله في تلك المرحلة العصبية.. ولكنه لم يكن يرسل لنا شيئاً على الرغم من ذلك الأمر الذي جعل أخي لامين يستقدمنا إلى طرابلس وأنزلنا في بيت من البيوت الإيطالية الخالية بالهضبة الخضراء وكان يسكن إلى جوارنا عائلات كثيرة بينهم أقارب كان عائلوهم يعملون في البوليس أو في بعض الأعمال اليومية الأخرى..

كانت تلك البيوت تقع قرب منطقة كانت تسمى (بللوزة) وتقع بعد مستشفى (كانيفا) بحوالي كيلو متر على طريق قصر بن غشير، ومع أن أخي كان يحصل على راتب شهري من عمله في الشرطة إلا أن الراتب كان من الضآلة بحيث أنه لا يكفي لحياة ميسورة ولذلك دقنا الفقر..

كنت مازلت طالب وقد التحقت بمدرسة شارع الزاوية وهي أقرب مدرسة إلي حيث كنا نقيم في الهضبة الخضراء فكنت أذهب إلى المدرسة وأعود منها على قدمي، ولكنني لم أكمل سنة دراسية كاملة في مدرسة شارع الزاوية فقد قصرت قدرة أخي على أعالتنا فاضطررنا إلى العودة إلى الرجبان، عادت أمي وأخي الهادي الذي لا يزال صغيراً قبلي ثم لم البت أن عدت أنا أيضاً.. ففي الرجبان دائماً هناك أعمام لا يقصرون في تقديم الرعاية وهناك أخوال يتحلون بالشهامة والكرم والرجبان دائماً هي المؤمن الأول والأخير في تلك المرحلة المضطربة من العمر.. وهي مرحلة مضطربة لأنني لا أذكر أنني أنهيت سنة دراسية كاملة في مدرسة واحدة بسبب هذه التنقلات المتلاحقة ولم استقر استقرارا ولو قصير إلا في غريان حيث كان يعمل أخي محمد رحمه الله .. أذكر في سنوات الاضطراب هذه أن أخي عمر عاد من بنغازي فاستطاع أن يحصل بسرعة على عمل في طرابلس موظفاً في إحدي الدوائر التى كان يديرها الانجليز قبل الاستقلال ولذلك استقدمنا إلى طرابلس حيث أسكننا في قرقارش على بعد سبعة كيلو مترات ونصف من ميدان الشهداء (بياتسا إيطاليا) سابقاً.

والتحقت بمدرسة ميزران فكنت أحضر يومياً وأعود بعد انتهاء اليوم الدراسي سيراً على الإقدام مثلما حدث معي أيام الهضبة الخضراء ومدرسة شارع الزاوية.. ولم أكمل سنة كاملة في مدرسة شارع ميزران أيضاً ولكنها سنة كانت خصبة وثرية وتركت في نفسي بعض الذكريات الجميلة.

لقد كان مدرسي في تلك السنة الأستاذ بشير الدخاخنى رحمه الله، لقد تصادف انه كان أيضا أستاذا لأخي عمر ولأخي لامين في تاجوراء أيام كانا يقيمان مع عمهما حسن عندما كان مدير ناحية هناك ولذلك خصني ببعض العطف لكن القسمة التي تطبعت في نفسي من تلك الأيام هى اهتمامه بخلق علاقة بيننا وبين الكتاب وبين النص الأدبي الجميل خارج المنهج المدرسي، لقد كان الأستاذ بشير الدخاخني يحرص على ترتيب حصة قراءة مرة في الأسبوع وأيامها كان يحمل معه نسخة من كتاب العبرات للطفي المنفلوطى ويجعلنا نقرأ منه بالتبادل قراءة جهرية ثم يخصص بقية الحصة للشرح والمناقشة في النص الذي قرأناه ولأول مرة بالطبع خلق عندي ولعاً بلطفي المنفلوطى الذي قرأته فيما بعد وظللت متعلقاً به لفترة غير قصير.

لقد كان الأستاذ بشير الدخاخني وقورا ومهيبا وكان ودوداً مع ذلك ولقد خصني بأطول نصيب من القراءة بين التلاميذ وكان يثني على سلامة نطقي وقدرتي على تلخيص ما قرأت، لقد كنت أشعر أن ثناء الأستاذ على التلاميذ وبالطريقة التى كنا نلمسها في تلك الأيام يخلق لدى التلميذ شعوراً بالثقة وبالاعتزاز بالنفس ويدفعه إلى مزيد من الجد والمثابرة من أجل استمرار التفوق.

ومع ذلك فسنوات دراستي كانت مرتبطة بالصدمات رغم الذكريات الجميلة التى مررنا بها.

الرجبان الرحبان

الحياة في الرجبان شيء آخر تماماً شيء من المستحيل أن ينساه الإنسان الذي ولد في أحضانها الدافئة ولكل امرئ أن يعشق مسقط رأسه كيف يشاء.. ثمة خصوصية لدي كل منا مهما شرقّت أو غرّبت به شعاب الدنيا نحو تراب الأرض التي ولد فيها.. أنها مواقع الطفولة ومرابع الصبا، فأنا كلما تذكرت الرجبان تسربت إلى أنفي رائحة الشيح والزعتر وسرح بي الخيال إلى حياة الطفولة التى كانت جميلة رغم شظف العيش أحياناً، فالبساطة والقناعة والرضى بما هو مقسوم والألفة التي تربط بين الناس والتوادد الذي يجمعهم على اختلافهم تغني وتشبع وتملأ القلوب بالسعادة..

والرجبان بلد كل الفصول الجميلة بالنسبة للأطفال في سننا في ذلك الوقت والصبيان والفتيان الذين هم على مشارف سن الرشد.

فالشتاء له خصوصية البرد والأمطار والسباحة في البرك التي تتجمع فيها الأمطار المتساقط وهو موسم النار التي هي فاكهة الشتاء.. فالنار في الشتاء تجمع الناس حول الكانون والدفء وهو موسم ليالي السمر والخرّاف والحكايات والنوادر، والشتاء له ليل طويل فلولا هذا الليل الطويل لنسيت العجائز الحكايات والخراريف الشيقة ولولا هذه الليالي الطويلة في الشتاء لبهتت العلاقات العائلية وتآكلتها الرتابة والسرعة الخاطفة..

والشتاء هو موسم جني ثمار الزيتون وموسم الحرث، وثمار الزيتون في ذلك الزمان كانت عملة للمقايضة.. كما أن البيض كان عملة للمقايضة أيضاً وكذلك كان القمح والشعير.. وبقدر ما تكون صابة الزيتون سخية بقدر ما يصبح الحال ميسور لدى كثير من العائلات.. في النهار تدفع العائلات الأطفال والبنات والنساء إلى الغابة حيث أشجار

الزيتون ويقضون أغلب الوقت في جمع الحب ويعودون به في آخر النهار قففا ومخالي * وينشرون حصيلتهم في البيوت بعد العودة لتنقية الحب من الشوائب ثم يخزنون في أماكن خاصة إلى أن يحين موسم العصر وتحويله إلى زيت.. ومن هذه الحصيلة كانت العائلات تشتري حاجاتها وتسخو في اقتناء ما تريد فتشتري الشاي والسكر وتضيف إليه الكاكاوية فالكاكاوية مع الشاي تعد ترفا في تلك الأيام (الكاكاوية هي الفول السودانى)..

وفي هذا الموسم كما في موسم الصيف، وموسم الشعير والقمح يستعد العم (قريرة السطى) بقال القرية إلى توفير البضائع المطلوبة لدكانه فيسافر إلى طرابلس ثم يعود بسيارة شاحنة تنقل له بضائعه.. وعندما كان (قرير السطى) يجلب بضاعته بواسطة تلك السيارة مرة أو مرتين في العام يكون ذلك حدثاً بالنسبة لنا نحن الصغار..

إذا سافر قريرة نظل ننتظر عودته أياماً ونحرص على أن نلعب قريباًمن (الكياس) ** في (الملهاد) *** غالباً أو (المديرية) **** ذلك إذا عاد قرير في السيارة الشاحنة كنا نسمع صوتها من بعيد من مسافة كيلومترين تقريباً، وما أن نسمع صوت السيارة حتى نركض في سرعة البرق لملاقاتها في (راس المصلى) ***** لنتشعلق بها وهي تدخل متجه إلى الدكان.. والتعلق بالسيارة متعة لا تضاهيها إلا متعة مساعدة العم قريرة في إنزال بضاعته والظفر بحبات الحلوي التي كان يجلبها معه من المدينة ويوزعها علينا بأريحية ومرح كلما ساعدناه في إنزال الحمولة.

وفي كل مرة يجدد العم قريرة بضاعته في موسم الشتاء كان دكانه يزدحم بالأطفال الذين يحملون كميات الزيتون حيث يقايضون به ما يحتاج إليه الأهل من شاي وسكر وكاكاوية وقاز ولمبات وفتائل للفنارات وأقمشة وسجائر وأمواس حلاقة وكحل عيون للنساء ونفّة ومضغة وبلغ ومدائس وكبريت وروائح (بارازيت) وغير ذلك من الحاجات الصغيرة التي لم تكن متنوعة كثيراً..

كانت هناك دكاكين أخرى في القرية، كان هناك دكان دغمان وجدّول وسعد كرير وبو راسين وحمد السلاع وشنيبة ولكنها جميعاً دكاكين لم تدم طويلاً أو كانت تفتح على فترات أما الوحيد الذي كان موجوداً باستمرار فهو دكان قريرة والقرية كلها تعرف قريرة وتتعامل

* - المخالي جمع مخلاة.

** - الكياس: هو الطريق المعبد.

*** - الملهاد: حيث يجري سباق الخيل.

**** - المديرية: الادارة الحكومية.

***** - راس المصلى: منطقة.

معه على حساب المواسم، وكان هو ودوداً وطيباً، كان دكانه يقع على بعد خطوات من منزلنا، كانت عائلات عراب وفكيني وقريرة والتواتي وبو راسين والكرايرية تسكن متجاورة في قرية أولاد عبيد وتارديه.. وكانت البيوت مفتوحة لبعضها، ولم يكن أحد غريباً بالنسبة للأخر كان الناس جميعاً يعيشون كأسرة واحدة يعرف بعضهم بعضاً جيداً حتى في الطرف الآخر من القرية في القصبة وأولاد حامد وأولاد عثمان وغيرهم وكانت العلاقات متشابكة بأواصر القربى وكان يسود بينهم وئام عميق ويتجلى ترابطهم في مناسبات كثيرة حيث كانت عادة (الرغاطة) ما تزال قائمة .. والرغاطة هي تعاون أهل القرية جميعاً في إنجاز عمل ما في حفر (ماجن) أو في جلب صاري معصرة أو معاونة فقير على الحرث أو في الحصاد أو في أي شئ يصعب على الفرد أن يقوم به بنفسه.. كان الشيوخ الذين يقضون أوقاتهم في غير المواسم المعروفة عند حائط المسجد يتدابرون مثل هذه الأمور ويعرفون أهل القرية وحاجتهم ويدعون إلى تنظيم الرغاطة في أمر من الأمور فيشترك كل أهل القرية شباب ورجالاً وينجزون العمل المطلوب في أيام أو ساعات وهكذا في كل الأمور.. حائط المسجد هو المنتدى اليومي وهو يوجه القرية في شئونها..

وفصل الشتاء فصل ميسرة بالنسبة لنا نحن الأطفال وللشباب أيضاً .. فهو فصل نختلس فيه الوقت المناسب لسرقة الزيتون من الغابة.. نتسلل خفية في أوقات معينة ونذهب إلى الشعاب البعيدة التى ليس بها أحد ونعين أحد الزياتين الأكثر خصباً فنجمع ما تطرحه تحتها ثم نعود به راكضين إلى القرية حيث نقايض به قطع الحلوى نحن الصغار ويقايض به الشباب الشاي والسكر والسجائر فيقضي الأكبر منا سنا ليلهم في أماكن محددة هي غالباً دواميس الحفر يشربون الشاي ويلعبون الورق ويدخنون السجائر حتى الساعات الأولى من الصباح، وكانت هذه العادة معروفة لدي أهل القرية وهي لم تكن تغضب أحداً فالأطفال والشباب يكتفون بسرقة كميات محدودة من الزيتون ويعرف الناس أن الزيتون هو العملة الوحيدة المتداولة فلا يرون حرجاً في هذا الأمر مادام هؤلاء الشباب يسدون حاجتهم من الشاي والسجائر بهذا الأسلوب بينما تكون سرقاتنا نحن الصغار شبيهة بالترق والعبث البريء..

وفصل الشتاء هو فصل الحرث فإذا هطلت الأمطار كانت المواسم خصبة وعلى أيامنا كانت الأمطار نادراً ما تشح.. كان الناس أهل بركة وعلى نياتهم فكان الله تعالي لا يحجب عنهم الغيث.

وكان الرجال عندما يعودون من حرث أراضي الحراثة في الجفارة أو في الظاهرة

يتجهون إلى حرث الأراضي القريبة من القرية.. كان الحرث يتم بواسطة المحاريث العربية أو المحاريث (السوري) وعلى ظهور الخيل أو الجمال أو الحمير.. وكانت هذه الأوقات تحقق لنا متعة خاصة حيث كنا نذهب إلى أولئك الذين يحرثون بواسطة الخيل فكنا نقرفص قريبا منهم حفاةً في سواري بدون سراويل ولم نكن نبالي بالبرد وكنا ننتظر حتى يعطف علينا صاحب الحرث فيعطينا فرصة لاستخدام المحراث وتولي الحرث نيابة عنه.. وفي هذه الحالة كانت السعادة تغمرنا ونحن نمسك بالمحراث وراء الدابة ونحثها على السرعة ونراعي أن يكون الحرث متقننا مثلما يفعل الرجال..

فحتى الشتاء كانت له متعة في الرجبان..

الشيء الوحيد الذي كنت أكرهه في فصل الشتاء هو الصحو مبكراً .. فقد كانت أمي توقظني بعد آذان الفجر مباشرة لأذهب إلى الجامع.. وكانت هذه العملية شاقة بالنسبة لها.. فأنا لم أكن استجيب لإلحاحها بسرعة ولذلك كانت تلجأ إلى كثير من الأساليب التي لا تخلو من القسوة لتجعلني استيقظ وأذهب إلى الجامع قبل طلوع الشمس.

لقد كنت لا أجد مبرراً لهذه القسوة وكنت أراها ظلما لم أفعل ما يستوجبه، فالعملية كنت أراها أشبه بالعذاب اليومي المتكرر الذي لا لزوم له.. فما الذي سيحدث للدنيا لو أنني لم أذهب إلى الجامع؟.

كان دخولي إلى الجامع لقراءة القرآن في سن مبكرة.. وقد أصبحت أدرك فيما بعد أن عدم الذهاب مبكراً أو الغياب يعني العقاب الشديد ويعني الفلقة من يدي الفقيه التي لا ترحم.. ولكن على الرغم من ذلك كنت أذهب إلى الجامع ومازال الظلام مخيما فأجد بعض الأطفال قد سبقوني وأنهمكوا في تلاوة السور المقررة عليهم بينما الفقيه لم يحضر بعد أو هو في الغرفة المجاورة يصلي الفجر ويتلو بعض الكتاب فإذا حضر تفقدنا واحداً واحداً، ثم سرعان ما يتكئ على حصير فوق (الركابة) ويغط في النوم وكنت أجدها فرصة فأغمض عيني أنا الآخر وآخذ في مواصلة نومي ولكنه انتبه إلى في احدي المرات فكان العقاب الذي لم أنساه إلى هذه اللحظة حيث علقني فلقة وضربني حتى ادمى قدمي، ولم أعد للنوم في الجامع بعدها أبداً أثناء حضور الفقيه.

لقد دخلت الكتاب في سن السادسة وعندما توفي والدي في عام 1943م كانت سني آنئذ ثماني سنوات تقريباً فازدادت قسوة أمي علي في أمر المواظبة على الذهاب إلى الجامع ثم المدرسة فيما بعد عام 1946م وعرفت عندما كبرت قليلاً أن ذلك كان يعني

إصرارها على تعليمي وتربيتي على النشاط والابتعاد عن الخمول والكسل والاعتماد على النفس..

كانت محقة فى ذلك رحمها الله، فقد تولت تربيتنا بعد وفاة أبي بسلوك رجل وفروسيته كانت معتدة بنفسها كثيراً وكانت بذلك محل احترام من كل العائلة وكل الأقارب..

والشتاء فصل الأنكماش والغمغمة أحياناً، وفي ليالي الشتاء كان هناك عدد من العجائز والأرامل يأتين إلى بيتنا وكن يؤنسن أمي ويخففن عنها أحزان وفاة الوالد.. وقد كن يتسامرن ساعات طويلة ويروين الحكايات والقصص والأشعار وكنت أجد متعة في متابعة هذه الحكايات بشغف وفضول وكنت أحفظ بعض الأشعار التي كن يروينها.. كانت الحجرة التى تجمعنا واسعة وكانت بها سدة ننام فيها نحن الصغار أنا وأخي الأصغر مني رحمه الله وثلاثة أخوات مازلن في البيت أحداهما أكبر مني سناً بينما الأخريين أصغر وكان أخي الهادي رضيعا فقد ولد بعد وفاة أبي بشهور قليلة فأطلقت عليه الوالدة اسم أبي.. بينما كان لي أخوة ذكوراً (لامين) الذي بقي معنا بعد وفاة أبي سنة أو سنتين ثم نزح إلى المدينة وعمر الذي نزح هو الأخر، أما أخي محمد فقد كان قد رحل قبلها بسنوات ويقيم بعيداً عنا ولا يتردد على القرية إلا من حين لآخر ، وفي بقية مساحة الدار كانت النسوة يتوزعن أو يتحلقن حول الكانون طلباً للدفء، كانت منهن أحياناً من تذهب إلى طحن الشعير في الغرفة المجاورة فكنت اسمعها تردد العديد من أغاني (الرحى) المتداولة بين النساء وهو لون من الأدب الشعبي معروف بهذه الصفة.. أغاني الرحي..

إلى غريان صغيراً

ما الذي جاء بي إلى غريان من الرجبان، والرجبان تقع على بعد ثمانين كيلو متر غرباً من هذه المدينة..

كان أخي الأكبر محمد رحمه الله موظفاً إداريا بمتصرفية غريان وبما أنني كنت يتيماً فكان هو الذي يرعاني لأنه كان الأكبر ولأنه الموظف الوحيد بين الأخوة وهكذا أخذني معه وأدخلني إلى المدرسة منتقلاً من مدرسة الرجبان الابتدائية..

لقد بدأ التعليم في ليبيا متأخراً عقب الحرب العالمية الثانية فلم تنشأ المدارس على الأقل في المدن النائية إلا في سنة 1946 وفي هذه الأثناء نهضت الكتاتيب بالرسالة التعليمية ولذلك عندما أنشأت المدارس دخلها التلاميذ وهم كبار السنة نسبياً لكنهم جاؤوها وهم على قدر من التعليم الذي تحصلوا عليه في تلك الكتايب، ولهذا حدثت مفارقتان غريبتان لعلهما لم تحدثا في أي بلد عربي آخر الأولي أن التلاميذ نسبوا من أول يوم إلى صفوف متقدمة فأكثرهم لم يبدأ من السنة الأولى الابتدائية بل هناك من نسب إلى الصف الثاني وهناك من نسب إلى الصف الثالث وهكذا والثانية أن الدراسة لم تبدأ مثلما هو متعارف عليه من تعليم القراءة والكتابة وإنما بدأت متقدمة أكثر فقد كانت هناك دروس في الصف الثاني الابتدائي مثلا في الهندسة والرياضيات ودروس في اللغة العربية بقواعدها ومحفوظات في الشعر والبلاغة وهكذا، والفضل بالطبع يرجع إلى الكتاتيب التي نهضت بدور تاريخي بارز في التغلب على الحرمان من التعليم المدني الذي حرمت الحرب البلاد منه كل تلك السنوات، ولقد كان المعلمون الذين تحصلوا على شهاداتهم أما من المدن الكبرى أو من الزوايا التي كانت منتشرة في القرى النائية أو من الكتاتيب نفسها التي تلقوا فيها إلى جانب حفظ القرآن الكريم بعض دروس الفقه واللغة وأعوذ فأكرر أن هذه الكتاتيب والزوايا الدينية هي التي حمت ليبيا من الجهل في سنوات

الحرمان، كان هؤلاء المعلمون متحمسين من أجل صقل مواهب تلاميذهم وتشجيعهم على التحصيل والإقبال على اختصار الزمن وتعويض ما فات، ولعلني أذكر هنا تلك الدروس الخصوصية التي كانت تعطى بدون أي مقابل فقد كان كل معلم يختار عدداً من تلاميذه الموهوبين ويجتمع بهم خارج أوقات الدراسة الرسمية ويلقي عليهم دروسا مختلفة في مختلف المعارف ولعلها في أحيان كثيرة كانت دروسا متقدمة أبعد من المناهج التقليدية قلت في بداية هذه السطور أنه يبدو أنني كنت موهوباً في الإلقاء بدليل تلك الخطبة أمام الزعيم وأعود إلى إجلاء هذه المسألة فأقول بأنني عندما حرمت من بعثة تعليمية في الخارج وأنا في الصف الخامس الابتدائي وأكملت بعد سنة تعليمية واحدة حيث نلت الشهادة الابتدائية ثم دخلت معترك الحياة لم تكن فرص العمل متاحة بشكل واسع ويسير وكان المجال الوحيد الذي أتيحت لي الفرصة للعمل فيه هو (البوليس) إذا كان لابد أن أتدبر أمري بعد أن تركت غريان ورعاية أخي الأكبر وسافرت إلى طرابلس التي كان بها أخي الأوسط (لامين) الذي كان هو أيضاً يعمل في سلك البوليس الذي تركته بعد فترة واشتغلت بالأرصاد الجوية، دخلت هذا السلك ولأنني كنت متميزاً تعليمياً إلى حد ما فقد تخرجت بعد دورة تدريبية لمدة ثلاثة أشهر في مدرسة البوليس بأبي ستة وتفوقت في تلك الدورة ونلت عصاة الشرف ثم نسبت إلى ما كان يسمي بمركز السوق بمدينة طرابلس نفرا ليس له ما يميزه سوي (نجمة) على الكتف رمز التفوق في الدورة التي تسبق التعيين على أن العمل بهذا المركز لم يدم سوي بضعة أشهر حيث جاءت ورائى رسالة من الرئاسة تقرر فيها نقلي من (مركز السوق) والعودة إلى مدرسة الأساس لتدريس مادة القانون للمستجدين، وكانت هي نفس المادة التي تفوقت فيها: بعض مواد قانون العقوبات، وقانون الإجراءات الجنائية، ولوائح الشرطة الخ الخ، مما يحتاجه رجل البوليس في عمله، وإثناء العمل بالمدرسة التي كان يديرها ضابط انجليزي – كان ذلك في سنة 1954م فلقد ضللت في البوليس منذ سنة 1954م إلى سنة 1958م.

في هذه الأثناء كان هناك مستشار فلسطيني في جهاز البوليس اسمه (مؤيد حسن) قرر أن يقدم برنامجا إذاعيا اسماه (ركن البوليس) ويبدو أنه تشاور مع بعض الضباط فيما يتعلق بهذا البرنامج فرشحوني للمشاركة معه في كتابة بعض مواد الحلقات والمشاركة الصوتية في تقديم البرنامج من خلال الإذاعة، كانت الإذاعة وليدة فى ذلك الوقت فلقد تم إنشاؤها في سنة م1957 بعد أن كانت مجرد سويعات للإرسال من خلال إذاعة الجيش البريطاني المحلية، وفعلاً تمت المشاركة في التقديم وبعد حلقة أو حلقتين فوجئنا بأن

المسؤولين في الإذاعة يشترطون لكي يستمر البرنامج أن ينتقل كامل عراب للمشاركة في العمل بالإذاعة على سبيل العمل الإضافي.

كان المسؤولون في الإذاعة في ذلك الوقت خليط بين ليبيين وفلسطينيين وقلة من العرب الآخرين، ومن بين أبرز الليبيين الأساتذة المرحومين محمد بن صوفية وكاظم نديم ومحمد أبو عامر – إذا لم تخني الذاكرة – واحمد فريد غالي - صهري فيما بعد حيث تزوجت كريمته، والسيدة عويشة الخريف زوجة احمد فريد الثانية، والسيد عمر على – فلسطيني، وفنانين وممثلين آخرين كثيرين، غير أن الموافقة على انتسابي للإذاعية تعثرت بسبب إجراءات روتينية وبسبب تعنت مدير مدرسة البوليس الانجليزي الذي كان تقليديا جدا في مهنته كبوليس، أعوذ فأقول بأنني يبدو أنني كنت موهوباً في الإلقاء إذ تطورت الأمور بعد ذلك لأسباب كثيرة لكن شاء القدر أنني أصبحت مذيعا في تاريخي الوظيفي سآتي علي ذكرها في مواضعها من هذه السيرة..

ثقافة التحدي

في مدرسة غريان الابتدائية عندما كنت بالصف الخامس بدأت فكرة إرسال أول بعثة رسمية إلى مصر من بين تلاميذ الصف الخامس على مستوي ليبيا كلها..

كان نظام الدراسة في ذلك الوقت ينقسم إلى ابتدائي وثانوي ولم تكن هناك مرحلة إعدادية وكان الابتدائي ينتهي عند السنة الخامسة ثم بعد ذلك المرحلة الثانوية فالجامعة.

ومن خلال اختبارات وترشيحات من مختلف مدارس البلاد تم اختياري للذهاب في هذه البعثة كانت تلك مفاجأة كبرى لي في حياتي وكان فرح أخي محمد رحمه الله لا يوصف وكان يعتبر ذلك فخرا له كيف لا وهو الذي رعاني ورباني وكان حقا عوض الوالد وغمر الفرح كل العائلة وبدأوا يعدونني لهذه النقلة في الحياة وأذكر أنهم اشتروا لي أول بدلة إفرنجية -كنا نسميها كذلك - تليق بالحياة في بلاد الغربة -مصر - التي لا نعرفها إلا من خلال الأفلام، وبينما كنت وكنا في أجواء هذا الفرح العامر حدث ما لم يكن في الحسبان.

فقد عاد أخي محمد من العمل ذات يوم كئيب وهو مسود الوجه مغموما لا يكلم أحداً من في البيت وانزوى على غير عادته بزوجته يحدثها هامساً بينما كنا نحن بقية العائلة نتهامس أيضاً ونتبادل الأسئلة فيما بيننا عن أسباب هذا الحزن الظاهر الذي يعتري أخي.

لكن الأمر لم يلبث أن انجلي عن كارثة بالنسبة لي إذ أبلغت أن اسمي شطب من قائمة البعثة إلى مصر.

ولن يستطيع أحد أن يتصور الحالة التي أصابتني بعد سماع هذا الخبر، تحايلوا بشتى الطرق لكي يبلغونني بالخبر، وفي النهاية كان وقع الصاعقة..

ما الذي حدث.. وقد كان الاختيار قد وقع علي لا من خلال واسطة ولكن من خلال تميز حقيقي، وأخذ أخي الموظف بالمتصرفية ذو الصلات المتعددة مع رجال التعليم ورجال الإدارة يتحرى حقيقة ما جرى، حتى اكتشف أن الذي كان وراء شطب اسمي من القائمة هو مفتش التعليم في المتصرفية المرحوم السيد (جمعة العرادي) لقد شطب اسمي ووضع مكانه ابنه، سامحه الله، فهو الآن في دار الحق.

وكذلك ابنه نفسه رحمهما الله، تلك البعثة هي أول بعثة رسمية ليبية إلى مصر، حيث درس فيها المبعوثون الثانوية والجامعة، والتي كان من بين أعضائها الكاتب المرحوم الأستاذ كامل المقهور الكاتب والصديق فيما بعد.

●●●

من خلال بعض العثرات التى تلم بالإنسان في حياته قد يلهمه الله سبحانه وتعالي إلى طريق لا ينجيه من الغم فحسب ولكن يوفقة إلى أفضل مما كان يتوقع.

كان عمري إذ ذاك سبعة عشر عاماً وكان الليبيون عموماً في تلك المراحل التاريخية ينضجون مبكراً وليس كمثل ما يحدث الآن.

كان الشاب في هذه السن يعتبر نفسه قد أصبح رجلا، وما أكثر الذين انغروا في معترك الحياة في مثل هذا العمر يعملون ويعيلون عائلات وأحياناً يتزوجون ويتحملون مسؤولياتهم بالكامل غير متكلين على أحد، ربما بسبب ما أعقب الحرب من دمار ومآسي وربما بسبب الفقر الذي يفرض على الواحد أن يتحمل مسؤولية نفسه وأن يتدبر طريقة ويرسم مستقبل حياته، وهكذا نشأ عندي شعور بأن البعثة لمصر ليست هي حد الدنيا أو نهاية الكون، وقررت بيني وبين نفسي أن أكون شيئاً حتى ولو لم أذهب إلى مصر في بعثة!.

عدت إلى الرجبان كئيبا قالوا بأنني عدت أجر أذيال الخيبة، وأكملت الصف السادس في مدرسة جادو الابتدائية القريبة من الرجبان –وصددت - إلى طرابلس، نقول أيامها حدرت بمعني سافرت ربما (حدرت) تأتي من الانحدار من الجبل إلى مدن الساحل الواطئة..

ولم أجد أمامي إلا المعهد الفني والكتابي الكائن في شارع هايتي أيامها وكانت الدراسة فيه تنقسم إلى قسم فني وهو يعلم مهناً متعددة كالنجارة والحدادة الخ والكتابي الذي يعلم المنهج الكتابي كالإدارة والطباعة الخ، فكان نصيبي القسم الفني.. وسبب اختياري لهذا المعهد هو إنه كان به قسم داخلي يؤوى الطالب أكلا وشرباً ومبيتاً وفوق ذلك يمنحه بعض

الجنيهات كمصروف شخصي، ولكن لسوء الحظ نسبت إلى القسم الفني بدلاً من القسم الإداري فقبلت على مضض، لعدة أسباب من بينها أنني من عائلة تقلد أفرادها وظائف إدارية وطول عمرهم كانوا موظفين كبار حتى أن عائلتنا (عراب) كانوا يسمونهم (عيلة البي) فأذن كيف أكون أنا الوحيد الذي سيطلع حداداً أو نجاراً أو لحاماً أو حتى ميكانيكاً.

هكذا كان شعوري في ذلك الوقت، ولأنني كنت ناقماً وأدرس على مضض فقد تزعمت إضرابا لطلبة القسم الداخلي احتجاجا على سوء الطعام، مع إنه والله كان جيداً ومتنوعاً ولكن هكذا شغب وعناد، وخطبت خطبة عصماء في الطلبة استهليتها بالآية الكريمة (واعتصموا بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وفي اليوم التالي قامت القيامة في المعهد، وقد استدعي زعماء الإضراب في الصباح التالي إلى مكتب المدير الأمريكي، كان المعهد تابع للنقطة الرابعة الأمريكية، وكان يساعده في الإدارة المرحوم الأستاذ نبيه المصري وبعد مناقشات وأخذ ورد تقرر طردي أنا بالذات من القسم الداخلي، وكانت تلك بداية الطلاق بيني وبين الدراسة النظامية، فبعد شهر أو شهرين تركت المعهد نهائياً وأصبحت لا أحمل إلا شهادتين شهادة أن لا اله الا الله والشهادة الابتدائية.

لكنني ارتبطت بالكتاب.

كان شغفي بالكتاب قد بدأ مبكراً فلقد كان بعض المعلمين الوطنيين الصادقين بل كل المعلمين كانوا كذلك كانوا يقررون حصة للقراءة بين الحصة والحصة الأستاذ المرحوم بشير الدخاخني الذي كان يختار كتب الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي –العبرات – على الخصوص، ويدعوني لقراءة صفحات منه على مجمع من الطلبة – ألم اقل يبدو أنني موهوب في الإلقاء!.

ولكن من أين لي ثمن الكتاب الذي بات يغريني، ثمة في ذلك الوقت مراكز ثقافية كالمركز الثقافي الأمريكي والمركز الثقافي المصري فيما بعد وكانت لهذه المراكز مكتبات عامة للقراءة وللإعارة فضلاً عن مكتبة الأوقاف الغنية والعريقة منذ أحقاب فانجدتني هذه المكتبات وكنت أقضي فيها ساعات طويلة متنقلا بين كتاب وآخر.

طرابلس فتحت أمامي أبواباً واسعة للمعرفة والنشاط الثقافي.

***

مراحل الدراسة المضطربة (المشتّاي)

تلك السنوات القليلة التي قضيتها في التعليم النظامي – الابتدائي – وكفى – كانت سنوات مضطربة بحق قضيتها في التنقل من مدينة إلى مدينة وأحياناً من مكان إلى مكان بسبب تنقلي مع أخوتي الكبار وتعددت المدارس التى تلقيت فيها التعليم في تلك السنوات.

فعندما كنت مع أخي محمد أكبر الأخوة وهو موظف بمتصرفية غريان درست قليلاً في مدرسة غريان الابتدائية، وعندما انتقلت للإقامة مع أخي لامين الذي كان شرطيا في طرابلس ويقيم في أطراف الهضبة الخضراء انتقلت للدراسة في مدرسة شارع الزاوية الابتدائية وعندما انتقلت للإقامة مع أخي عمر الموظف في احدي مصالح الإدارة البريطانية في المدينة وكان يقيم سكنيا في قرقارش 4.500 كيلومتر عن المدينة انتقلت للدراسة في المدرسة الابتدائية في شارع ميزران وفي كلا الحالتين –الهضبة وقرقارش – كنت أذهب إلى المدرسة وأعود فيها مشيا على الأقدام، أذكر أن مشوار – قرقارش / المدينة – كان صعبا وخصوصا في فصل الشتاء الممطر والبارد والطويل، كيف أصحو باكراً فأمر على زميل دراسة من أهل قرقارش هو فرج الشاوش ونأخذ طريقنا معا مشيا على الأقدام.

كانت الطريق ليست كما هي الآن ليس فيها من العمران شيء مجرد مزارع للمعمرين الايطاليين وبيوت متناثرة لأولئك المعمرين.

أذكر أن المدرسة قررت أن تنظم ما كنا نسميه نزهة مدرسية يقضيها التلاميذ والمدرسون في رحلة في الخلاء يتنزهون ويستمتعون بحرية يوم كامل بعيداً عن الازدحام والضجيج وقد اختار المعلمون أن تكون تلك الرحلة في طريق قرقارش وبالذات في المكان الذي فيه الآن بريد حي الأندلس فتجمعنا في المدرسة في ذلك الصباح وأحضروا لنا سيارات (بولمان) أخذتنا إلى هذا المكان فقضينا وقتاً ممتعاً بين الزملاء والأصدقاء والأساتذة، وعندما حان

موعد العودة إلى المدينة وأخذ المعلمون يجمعون التلاميذ قلت لأستاذي أنا لن أعود معكم فأنتم الآن في منتصف المسافة بين بيتي والمدرسة فدهش الأستاذ وقال لي باستغراب أنت تقيم على كل هذا البعد وتأتي كل يوم إلى المدرسة، قلت له:

■ وأتي ماشيا أيضاً –

وظل الأستاذ مستغرباً ولا يصدق ولكن هذا ما حدث، أنها سنوات المحنة والشقاء، ولكنها الآن مجرد ذكريات جميلة حتى بعد أن أصبحنا لا نذهب إلى السوق الذي هو على بعد مائة متر إلا بالسيارة..

في الصيف، وفي العطلة المدرسية غالباً ما كنت أعود إلى الرجبان حيث مازالت الوالدة وبقية العائلة هناك، وكان الصيف ممتعاً بحق إذ كنا في ليالي المقمرة تتجمع في إحدى الفضاءات فنسافر كباراً وصغاراً.

إلى ذلك كان فصل الصيف ممتعاً لأنه فصل إقامة الأعراس وموسم التزاوج، وما أشد شوق الشباب الذين في سني إلى هذا الفصل لما فيه من بهجة ومتع ومسامرات ومواعيد..

تقام الأعراس فتكثر الولائم واللقاءات في مختلف القبائل ويتداعي الرجال والنساء من كل القبائل ويدوم سبعة أيام كاملة تذبح الذبائح وتنصب بيوت الشعر وتقام الاحتفالات وأمام بين الشعر الرئيسي في مكان العرس يصطف الرجال بينما يكتظ داخله النساء والصبايا اللواتي في سن الزواج ويحي الحفل بموسيقي الزكرة التي يتكون فريقها من عازف على المقرونة ومعه اثنين أو ثلاثة على (الدبدحة) وتصطف أمام البيت عدة صبايا (النخاخات) اللواتي يستدعن شعورهن الغزيرة ويشرعن في التمايل على أنغام المقرونة الشجية، ويظل عازف المقرونة يمشي ويجي بين الرجال والصبايا وهو لا يكف عن العزف فيتكئ على صدر أحد الرجال الواقفين صفوفاً أمام بيت الشعر فيرشق الرجال على جبهته كمية من النقود الورقية ويوشوش في إذنيه يشير إليه باسم النخاحة التي سيذهب إليها ويظل يعزف أمامها لفترة قصيرة، وغالباً ما تكون بين تلك الصبية وذلك الرجل (الشاب) علامات عاطفة متبادلة وهو ما يوحي بأنه يفكر في الزواج منها وهي من وقع عليها اختياره للزواج.

وتحدث أحياناً بعض المنافسات الخفيفة بين الرجال (الشباب) الذين يلتقي تفكيرهم دون المصارحة في أن كل منهم يفكر في الزواج من تلك الصبية، وتحدث المنافسة دون أدني

تحرش وإنما تحدث بزيادة كمية النقود التي تلصق على جبهة العازف وتحت طاقيته، وبسرعة الحديث في ليالي السهر بين الشباب على أن فلان يرغب في فلانة ويفكر في الزواج منها.

ويخصص اليوم الأخير من أيام العرس للميس حيث تقاد العروس داخل (باصور) على ظهر جمل وسط حشد من النساء بينما يكون الرجال والشباب والأطفال قد احتشدوا في مكان يقال له (الملهاد) الفرسان على ظهور جيادهم ويشروع عند تستقر العروس في ذلك الوضع في جانب من جوانب الملهاد.

ويبدأ سباق الخيل في عدة مشاوير إلى أن ينقضي جل النهار، وعندما يقع أحد الفرسان من على جواده وذلك يحدث نادراً يعزي ذلك إلى أن العروس نظرت إليه وأخذته بالعين.

وكان هذا اليوم من الأيام الأكثر فرحاً بالنسبة للسكان إذ ما أن ينتهي سباق الخيل حتي نتسابق نحن الشباب المراهقين إليها فنخلع عنها سروجها ثم نمتطيها للذهاب بها أحد معاطن المنطقة وغالباً ما يكون (البيراط) لنسقيها من مياه تلك المعاطن ثم نعود بها في سباق آخر ولكن بلا جمهور ونحن نفرح بهذا العمل لأننا كلنا نعرف كيف نركب الخيول ونقطع بها المسافات وهي تعدو بأقصي ما تستطيعه من قدرة بعد أن انهكت من مشاوير (الميز) ونحن ننطقها هكذا (ميز) وليس (ميس) ثم نودعها في مرابط خاصة حيث تطعم وترتاح.

كانت بيوت القبيلة تملك كلها خيولاً فلا تري بيتا — إلا نادراً - إلا وأمامه جواد أو فرس، والجواد يستخدم فضلاً عن هذه المنافسات في الأفراح للحرث في مواسم الزرع وهو وسيلة للمواصلات والتنقل فليست هناك سيارات في ذلك الوقت

●●●

■ وما أكثر شيطنات.

الفتيان المراهقين، ففي بعض الأحيان كان شبان القرية ينقسمون حسب مناطقهم شمال وجنوب أو شرق وغرب ويشنون على بعضهم حرباً بالحجارة تدوم لعدة ساعات إلا أنها لم تكن تخلف أية عداوات، كانت حالة من حالات التنافس وأثبات الرجولة وأعود إلى جانب آخر من جوانب الأعراس، فبعد ليلة الدخلة يشكل العريس في اليوم التالي

(عراسة)، شئ ما يشبه الحكومة ويسمى هو (سلطان) ويكون فيها شاوش وهو الرجل الذي يدعو (العرأسة) إلى أول وليمة ويولم الآخرون للعراسة بالدور، ويكون للشاوش سلطة بعد السلطان بحيث إذا أخطأ أحد أعضائها خطأ يقرر عليه عقوبة بالجلد على اليدين وأحياناً على الرجلين ويتسامر هؤلاء فيما بينهم بالأحاجي الشعرية والألغاز في مظاهر تسلية لطيفة وممتعة.

كان الناس في تلك الأيام التي أعقبت الحرب بالرغم مما فيها من كساد إلا أنهم يتغلبون على فراغهم بطرق كثيرة، فما أكثر ما كانوا ينظمون منافسات فيما بينهم بلعب كرة (الروص) أحياناً وهي كرة مصنوعة من ألياف صلبة، وتدفع بالنبابيت يتنافس فيها فريقان وفى كل جانب كان هناك ما يشبه (المرمي) أو بكرة الشاش وهي لعبة شبيهة بلعبة كرة اليد الحديثة.

وأتصور أن أغلب الألعاب الرياضية الحديثة لها جذور شعبية قديمة ثم تطويرها إلى النسق الذي نراه اليوم.

ونسيت أن أذكر في هذا المقام أن مناسبات الأفراح والأعراس كان يتخللها دائماً حضور للشعراء الشعبيين الذين يحبيون ليالي العرس بإلقاء أشعارهم على إيقاع الطبيلة أو هكذا ارتجالا متنوعا شجيا. وهي أشعار في الغزل أو البطولة.

وكان كثيرون يحفظونها غيبا، ويسمي الشاعر الشعبي الذي يشارك في تلك المناسبات (طالب) يطلق عليه هذا اللقب وكان الشعراء الشعبيون مشهورون فى ذلك الزمان يحترمهم الناس ويبجلونهم ويخشون من هجائهم والهجاء يعرف بين أهالي تلك المناطق بـ(الشنا)، وإلى حد الآن لا تزال كثير من قصائد الثناء والهجاء معروفة إلى حد الآن، فأنا لا أنسي مثلا هجائية الشاعر الدبوكي من منطقة الجميل التي يقول في مطلعها:

دار خويلد لا تقربها لا هي دار أجواد

سل ركايزها وعمدها وارميها في واد

ويبدو أن الدبوكي قد وفد إلى قبيلة (خويلد) فى المنطقة الغربية من طرابلس فلم تكرم وفادته فأنشأ فيها قصيدة الهجاء هذه، أما الثناء فله أمثلة كثيرة ولاشك وحادثة جدي عمر عراب مع الصيعان لا تزال مشهورة إلى اليوم.

فلقد عين رحمه الله أيام الأتراك قائم مقام على منطقة الصيعان وعندما قدم إليها على ظهر جوداه مع نفر من مرافقيه ظهرت له العجائز على أطراف المنطقة ملوحات

بلفائفهن وهن يقلن له (البل ساقوها يابي) إذ كانت ظاهرة الاعتداء على الإبل والأغنام ونهبها منتشرة في تلك الأيام بين القبائل الرحل، فما كان منه إلا أن أدار جوداه وانطلق خلف أولئك الذين سطوا على أبل الصيعان ولحق بهم وأعاد الإبل وقد أصيب في رجله بطلقة وأصبح أعرجا منذ تلك الحادثة والصيعان أهل بركة فاجتمعوا ودعوا عليه بالخير وهى دعوة مازال الناس يتذكرونها حتى اليوم وأنشأ أحد شعرائهم قصيدة ثناء على هذا الحاكم الشجاع الذي أعاد إليهم إبلهم من بين أيدي اللصوص يقول مطلع تلك القصيدة:

جانابي سماه عراب

جلى الخانب والزغاب

أعادها على مسمعي أكثر من مرة الشاعر المعروف مصطفى كمال سلام بعد نشر الأمن طوال مدة حكمه بين أهالي الصيعان الإكرام أهل البركة..

وعندما انتشر عدم الاستقرار واختلال الأمن وهمشت الرجبان في فترة ما أنشأ أحد الشعراء قصيدة مشهورة يقول مطلعها:

على وطنك مالاه رايح يابيني

بعد الهادي عراب والبى فكيني

ولدى الشعراء قصائد مشهورة في وصف الخيل يقول احدهم في وصف جواد والدي:

ازرق سماوي توتي

مدفوع حقه موش بالفالوني الخ

ولقد أثر تداول الشعر الشعبي في نفسي كثيراً حتى أنني عندما انتسبت إلى الإذاعة وأصبحت أحد مذيعيها كان أول برنامج قدمته هو برنامج (الأدب الشعبي) ولم يكن برنامجا يقتصر على تقديم نماذج من تلك الأشعار ولكنه يقدمها مع تحليل مبسط ونقد.

وذكرتني هذه السطور بحادثة وقعت عندما كنتَ أتردد على إذاعة صوت الوطن العربي (بعد حركة 9/1) إذا دخلت في يوم من الأيام إلى مبني الإذاعة فوجدت الشاعر الشعبي (جلوح) يجلس في مكتب احد المسؤولين فذكرني بحادثة طريفة إذ قال:

(أن كامل عراب كان زمان يدخل علينا نحن الشعراء الشعبيين الذين نريد أن نسجل قصائدنا في البرنامج فيقول: من كان لديه قصيدة شكر في الملك أو ولي العهد فعليه أن يذهب إليهما ويلقي قصيدته هناك أما من كان شعره فى موضوع آخر فيبقي، وضحكنا معا).

وعرفني هذا البرنامج على شعراء فحول فى الادب الشعبي منهم ضو العساس وعبد الله الزناتي والدبوكي واخرين كثيرون.

وكنت احترم هؤلاء الشعراء وأشرف بنفسي على طريقة استقبالهم بالإذاعة ومتابعة صرف حقوقهم المادية حتي أنني عندما ذهبت إلى تونس فى بعثة التبادل الإذاعي بين البلدين وتركت البرنامج لأحد الزملاء فى الإذاعة إلا إنه لم يكن للأسف يعرف قيمة هؤلاء الشعراء أو لا يتصرف معهم بلباقة، ولذلك قال المرحوم الشاعر عبد الله الزناتي قصيد يقول ـ في مطلعها:

عراب غاب ـ في تونس بدأ متقّي

وبعدا الجماعة ضيعولي حقي الخ

لقد كان الأدب الشعبي أيام انتشار الأمية هو السجل الحافل الذي دون جانبا هاماً من تاريخنا الوطني، فما أكثر القصائد التي سجلت بالوقائع ذلك التاريخ وأبرزت ما فيه من بطولات وأمجاد إلا أننا لم نهتم بهذا الشعر كثيراً رغم أهميته، ولقد اهتمت الجامعة الليبية فى مرحلة من المراحل بهذا الشعر فأصدرت بعض المجلدات التى جمعت قصائد كثيرة منه ولم أعد أري أثراً لهذا المشروع الحضاري الهام.

وقديماً كنا نقول أن الليبيين مصابون بمرض اسمه (الطهقة) بمعني أنهم يتحمسون لشيء ما لفترة محدودة ثم لا يلبثوا أن ينصرفوا عنه فيموت بعد فترة ميلاد قصيرة فهل أصيب مشروع الجامعة الليبية بهذه الطهقة، أم أن الذين تحمسوا للفكرة اختفوا من مسرح الحياة فاحتفت الفكرة نفسها، لست أدري، ولعله ليس من باب الاستطراد أن أقول بهذه المناسبة أن كثيراً من الشعر العالمي الذي ترجم إلى العربية هو ـ في الأساس ـ في لغته الأصلية شعر شعبي تقول ذلك المراجع ويقول ذلك المترجمون أنفسهم ولدينا قصائد شعبية هي من عيون الشعر بل أنها لو ترجمت إلى لغات أخرى للفت الأنظار إلى هذا التراث وجلبت له التقدير والاهتمام، (فيديريكو عارسيا لوركا) نفسه الذي يتمتع بشهرة واسعة ـ في اللغة الغربية كانت بعض قصائده ـ في الأصل الاسباني قصائد شعبية باللغة الدارجة.

كان عنوان هذا الفصل (المشاي) وهو عنوان لا يحيل إلى قبيلة المشاشية كما قد يتبادر إلى الذهن فأنا رجباني أصيل مع شديد احترامي إلى القبيلة التي تحمل هذا الاسم، ولكن العنوان يشير إلى (المشي) فلقد مشيت كثيراً وقطعت مسافات ـ في أجواء البرد

القارص والحر الشديد بين المدارس البعيدة والبيت الذي أقيم فيه مع أحد أخوتي الذي يتولي رعايتي، أمر بسيارتي الآن على تلك الأماكن فأضحك على نفسي بيني وبين نفسي على هذا العجز الذي أصبت به وأصبنا به كلنا في زمن السيارات اللعين ولكن ذلك زمن وهذا زمن، ترى أيهما الأفضل؟.

■ إيه دنيا؟.

القراءة أثمرت

التعليم النظامي لم يفدني بشيء فهو انتهي عند الشهادة الابتدائية فحتي أميتي كنت تجاوزتها في الكتاب، وفضل الجامع علي كبير فهو قد عجم لساني ودربني على حسن الإلقاء بتجويد السور القصار وإلقائها على مسامع الشيخ الفقيه الذي لا يتسامح في مجرد خطأ بسيط في نصبه أو خفضه أو رفعه، ولكن الفضل الأكبر كان يرجع للكتاب الذي هو ليس الرفيق على رأي الشاعر:

وخير مكان في الدنيا ظهر سابح

وخير جليس في الحياة كتاب

ولكنه كان بالنسبة لي السيد، فلقد استعبدني بشكل يتسلط على العقل والحواس وكنت لا أفارقه إلا في ساعات قليلة وكانت القراءة بالنسبة لي أدمانا حقيقيا، لم ابدأ من القصص البوليسية مثلا التى يقول الكثيرون أنهم بدأوا منها، فبعد أن غرس المعلم المرحوم الأستاذ بشير الدخاختي في نفسي حب القراءة عندما كنت في الصف الخامس بمدرسة طرابلس الابتدائية.

أصبحت محباً للقراءة واسعي إليها إما في المراكز الثقافية القليلة الموجودة في طرابلس في ذلك الوقت أو باقتناء كتاب ما من مكتبة الفرجاني في شارع الوادي بقروش قليلة تتوفر من حين إلى حين حسب أحوال العمل، كان الكتاب دائما في يدي أو في جيبي حتى عندما كنت ازور أحد الأقارب، كنت أزور إحدى أخواتي مثلا فما أن أسلم وأجلس حتى أخرج الكتاب وأشرع في القراءة غير ملتفت إلى ما يجري حولي، وما أكثر ما كان ذلك يسبب من ضيق إلى من أزورهم وكثيراً ما كنت اسمع عبارة (أنت جاي تزورنا وإلا جاي تقرأ)، ابتسم قليلاً وأعاود غرس عيني في الصفحات أذكر عندما كنت شرطياً في مدرسة

البوليس بأبي ستة ونقلت من وظيفة مدرس قانون إلى باشكاتب المدرسة أحضرت معي في يوم من الأيام مجموعة الكتب المراجع حيث كنت بصدد إعداد محاضرة عن (تطور الشعور القومي في الوطن العربي) وشرعت أكتب -كان ذلك في سنة 1955م - فيما أذكر، ويبدو أن مدير المدرسة الانجليزي سترالن (AL. Aiien) قد رن لي الجرس في المكتب فلم انتبه فجاء يمشي بهدوء شديد ووقف على رأسي دون أن انتبه أيضاً فخرج وعاد ومعه المستشار الفلسطيني ويدعي (سليم أمين) ونبهني حضورهما فوقف وسألني المدير عن المستشار المترجم فقلت له اكتب، وطلب من المستشار أن يترجم له عناوين الكتب وعندما سمع العناوين اكتفي بالابتسام وهو يقول يبدو أن مكانك ليس هنا يا أبني، وعندما لامني المستشار وقال بأن المدير سيغضب منك قلت له فليفعل أنا بصدد تقديم استقالتي خلال أيام واستأنفت الكتابة.

وفي إحدى السنوات استضافنا -كمجوعة صحفيين وكتاب - الثري اليوناني المشهور (جون لاتسس) الذي كان يتولي نقل الحجاج الليبيين بواسطة باخرتيه (ماريانا لاتسس) وأختها عدت أنا والصديق محمد الزنتاني رئيس تحرير جريدة فزان عن طريق القاهرة فكنت في معظم الوقت انتقل بين المكتبات وسور الأزبكية لانتقاء الكتب، فشرع الصديق الزنتاني يناكفي ونحن نتمشي في أحد الشوارع فيقول لي على غفلة ها هي مكتبة ها هي مكتبة.

وحصلت لي عدة مفارقات فى تلك المرحلة فقد عثرت على كتاب الأدب الجاهلي لطه حسين في أحد اكشاك سور الازبكية فاشتريته وعند تصفحه وجدت في صفحته الأولي إهداء بخط سكرتير طه حسين إلى الدكتور (فارس نمر) سنة 1929م والإهداء مختوم بختم طه حسين، وفي مرة أخرى ذهبت إلى مكتبة مدبولي فوجدت بها الشاعر المرحوم عبد الوهاب البياتي فسلمت عليه وكانت لي به معرفة قديمة في زيارة له بمدينة طرابلس فسألني هل معك بعض الكتب لأي كاتب لي فبالصدفة التفت إلى الأرفف فوجدت ديواناً شعرياً للمرحوم على صدقي عبد القادر فقدمته له الذي تناوله بفرح، ولم أدري ما الذي جاء بهذا الديوان لمكتبة مدبولي وفي مرة أخرى سألت مدبولي نفسه عما إذا كانت لديه نسخة من الإنجيل فقال لي على الفور سمي لي المؤلف وأنا اجيبهولك من تحت الأرض، فضحكت وقلت له:

■ المؤلف ربنا!

•••

مع مرور الأيام تكونت لدي مكتبة لا بأس بها في مختلف المعارف والثقافات بها مراجع لا يستهان بها وتحتوي على كتب نادرة أو قديمة التأليف، اتصلت بي ذات يوم من أيام انقلاب 9/1 الكاتبة فوزية شلابي تسألني عن كتاب (ثمن إسرائيل) لافريد لفتنتال وقالت لي (أخوك) يبحث عن هذا الكتاب وقال بأنكم لابد أن تجدوه في مكتبة كامل عراب، وقلت لها مازحا من أخوتي عمر أو الهادي فردت بضحكتها المعهودة وقالت هل عندك قلت لها نعم عندي وأرسلت من يأخذه ولم يعد الكتاب حتى الآن، كانوا يطلقون على القذافي في تلك الأيام (أخوك) والذي هو في الحقيقة ليس أخا لأحد.

ولقد تعرضت المكتبة إلى مداهمة رجال المباحث عقب ما سمي بالثورة الثقافية..

فلقد زارني ليلة المداهمة ضابط من المباحث مساه الله بالخير وهو بلدياتي رجباني أصيل وأبلغني قائلاً بأن المباحث ستزورك غداً فخذ حذرك ونظف مكتبتك (إذا كان فيها حاجة) فشكرته بحرارة على هذا التنبيه وقلت له ليس بها شيء، ثم أن الوقت قصير بين موعد زوار الفجر والآن فكيف يمكنني جرد المكتبة ثم أني لا أعرف ماذا يريد هؤلاء الناس وفي ساعة مبكرة من اليوم التالي طرقوا بابي ودخلوا بعد أن عرفوا بأنفسهم وشرعوا من فورهم فى تفتيش المكتبة وفحص محتوياتها بقراءة العناوين وأخذوا يلقون بالكتب على الأرض حتى أصبحت أكواما والمكتبة شبه خالية، ثم جمعوا تلك الأكوام فى صناديق وذهبوا بها وكان ما جمعوه قد ملأ سيارة خيمة كاملة.

ومن المفارقات أن البيت الذي كنت أسكنه آنذاك كان مملوكا لأحد اليهود وعندما خصص لي واستلمته وجدت في بعض أرجائه متروكات ليست ذات قيمة وكان من بين تلك المتروكات كتاب بالعبرية فأخذت الكتاب ووضعته بين رفوف المكتبة على الرغم من أنني لم أفهم منه شيئاً، وعندما وجده رجال المباحث سألوني عن هذه اللغة التى ليست انجليزية ولا إيطالية فقلت لهم أنه كتاب مكتوب بالفارسية فنظروا إلى للحظة ثم أهملوه وتركوه مع بقية الكتب القليلة التى تركوها، وحمدت الله رغم المحنة، إذا لو قلت لهم أنه مكتوب بالعبرية لأخذوني أنا أيضاً ولفقوا لي العمالة للصهيونية!!.

وبعد أيام من هذه الحادثة وأنا أروي لأخي الصغير (الهادي) رحمه الله:

- اسكت أنا أيضاً عندما سمعت بحملة التفتيش هذه أحرقت عشرات الكتب التي أخذتها من مكتبتك، فقلت له:
- يا حمار أنت لن تكون من بين الناس الذين شملتهم حملات التفتيش هذه فياريتك احتفظت لي بهذه الكتب ولكن (سبق السيف العدل) كما يقولون.

لكن الحمد لله بالرغم من أسفي على تلك الكتب التى أخذها رجال المباحث لأنها كتب جمعت بشق الأنفس من طرابلس والقاهرة ومدن أخرى سافرت إليها، ألا أنني عوضت بعض النقص في الأعوام التالية.

وهي مكتبة متنوعة كما قلت.

فلقد استدعانا معمر القذافي ذات مرة إلى خيمته في باب العزيزية وظللنا ننتظره من الساعة الثامنة إلى الساعة الحادية عشرة تقريباً قبل أن يسمح لنا بالدخول إلى الخيمة، شرع يكذب ويراوغ على طريقته المعتادة فمجرد أن بدأ بكذبه إذ قال لم يبلغني أحد بحضوركم وهذا طبعاً كذب ثم شرع في المراوغة فقال بأن الذي شغله حتى هذه الساعة هو سكرتير الحزب الشيوعي اللبناني فأخذنا الحديث عن الشيوعية وانتشارها في الوطن العربي.. ثم قال فجأة (وين كامل عراب) كنت أجلس قبالته وكان يعرفني تماماً فليست هذه هي المرة الأولى التى التقي فيها به، ثم قال: "آه ما رأيك في الكلام أم أن الملدوغ يتخايل الحبل، كان سجننا والإفراج عنا في حملاته المشئومة لم يمر عليه وقت طويل.. فشرعت أتكلم بأنفعال شديد:

قلت (أنك تلمح إلى نفس الموضوع الذي يتلخص في تصنيفي في خانة الشيوعيين ولعلمك أنها ليست المرة الأولى التي توجه لي فيها تهمة الشيوعية، ولم أتعود في حياتي أن أتكلم باستخفاف عن نظرية فكرية لحساب نظرية أخرى، ولكن لأنك أنت في هذا الموقع فاسمح لي أن أقول لك بارتياح شديد أنني لست شيوعياً على الرغم من أن هناك جوانب كثيرة في النظرية الماركسية تتفق وأحياناً تخدم توجهاتنا نحن العرب.. وظللت أتكلم نحوعشرين دقيقة دون أن يقاطعني بحرف، ومحل الشاهد قلت له: نحن جيل حرم من الدراسة النظامية فهداه الله الى تعويض هذا الحرمان بالقراءة وقرأنا في كل شئ وتستطيع أن ترسل أحد رجالك الآن إلى مكتبتي فسيجدون فيها مثلا الوجودية فلسفة إنسانية تماماً إلى جوار كتاب أخر يحمل عنوان الوجودية ليست فلسفة إنسانية، وسيجدون الإنجيل إلى جانب القرآن الكريم ويجدون رأس المال لماركس إلى جانب كتب التفسير وأجزاء عديدة من كتاب طنطاوي الجوهري فى تفسير العلمي للقرآن وهكذا) ولم يعقب بسوي كلمة أنا لا أتهمك وإنما أردت أن تشرح لنا كيف تنتشر نظرية من النظريات ولم يعطني فرصة للرد أو التعليق وإنما وجه الكلام لشخص آخر من الموجودين في الخيمة.

كان إلى جواري في جلسة الخيمة الصديق الشاعر عبد الحميد باطاو فقال لي همساً:

■ كنت تقول له كيف لك أن تسألني هذا السؤال..

■ قلت له له مازحاً: عندما يأتي دورك في الحديث رد عليه أنت بهذه الطريقة وضحكنا همساً أيضاً، فنحن في حضرة القائد الأممى!!.

● ● ●

قرأت أكثر من مرة لأدباء عرب معروفين يتحدثون عن مصير مكتباتهم بعد رحيلهم عن هذه الدنيا، فهل أكرر أنا نفس الحديث فإذا كان بعض أهلنا يتبرأ بالمكتبة أمامنا ونحن أحياء وأنها تحتل حيزاً من البيت يرون أنه اجدي لو استغل في شيء آخر ولا يعرفون مدى مكابدتنا ونحن نؤسس هذه المكتبات على مدى السنين فكيف سيكون الأمر إذا غيبنا القدر المحتوم، على أنه لوجه الحق بالنسبة لي لم اسمع زوجتي ولا أحد أبنائي أو بناتي في يوم من الأيام يعبر عن ضيقه بالكتب وربما على العكس من ذلك تماماً منهم من يقرأ بل أن أحد بناتي وهي هويام قارئة وشاعرة حقيقة..

أول ما شطح نطح

بدأت أمارس الكتابة في سن مبكرة نوعا ما أي في أواخر عام 1957م وكان عمري إذ ذلك اثنين وعشرين عاماً تقريبا..

ونشرت أول ما نشرت في صحيفة فزان التى كان يصدرها من سبها المرحوم الأستاذ محمد عمر الطشاني الذي كان رئيساً لإدارة مطبوعات ولاية فزان كان المقال الأول (الأدب بين الشيوخ والشباب) أما المقال الثاني فكان بعنوان –عصبية الزواج - والمقال الأول كان يناقش ما كتبه طه حسين وهاجم فيه شباب الأدب من أمثال محمود العالم وعبد العظيم أنيس اللذين نشر فيما بعد كتابها الهام (في الثقافة المصرية) وهو مجموعة مقالات ناقشت فيها الثقافة المصرية ورداً على كثير من أراء العقاد وطه حسين، كما أن طه حسين من جانب آخر نشر مقالاته بعنوان (يوناني فلا يقرأ) وهو الوصف الذي اختاره لنقد الحداثة الذي يكتب به الكاتبان المذكوران وغيرهما من شباب ذلك الجيل ثم تحولت إلى الكتابة في جريدة طرابلس الغرب التي كان يرأس تحريرها المرحوم الكاتب عبد القادر ابو هروس ومعه نائبه المرحوم محمد الشاوش.

فنشرت أول ما نشرت مقالاً بعنوان – الذين يصنعون السراب - وفيه تصديق لموجه الوجودية التى انتشرت في تلك الأيام – كان ذلك عام 1958م إذا لم تخني الذاكرة فما أن نشر هذا المقال حتى انهالت علي الردود في مقالات نارية من كثيرين ووقف معي يساندى في هذه المعركة الأدبية الشاعر الراحل الصديق على الرقيعي وهي المعركة التى نشرت مقالاتها كاملة في كتابي الذي يحمل عنوان –معارك الأمس - كانت سني آنذاك اثنين وعشرين عاماً الأمر الذي خول لبعضهم أن هناك من يكتب لي هذه المقالات، فلقد التقيت

مع الأستاذ محمد فريد سيالة في مقهى شهرزاد الذي يقع قديماً في ميدان الشهداء، وكان معي الشاعر على الرقيعى وكانت المعركة حامية في تلك الأيام فبعد جلس معنا الأستاذ سيالة وقد تعرفت به لأول مرة فما أن جلس وتعرف بشخصيتي ويبدو أنه رأى أنني صغير السن حتى قال بدون مقدمات من يكتب لك هذه المقالات، فقلت له ألا ترى أن هذا السؤال فيه وقاحة، وكاد الموقف أن يتطور بيننا لولا تدخل الشاعر الذي لطف الجو وانقد الجو من معركة كادت تنشب بيني وبين الأستاذ فريد رحمه الله..

على أن النشر جنى علي من جانب آخر، فقد كنت في ذلك الوقت مازالت شرطياً باشكاتب مدرسة البوليس، وكانت جريدة طرابلس الغرب فتعلق نسخة منها فى لوحة في ساحة المدرسة وعندما انشر فى أحد إعدادها مقالاً من مقالاتي كان المستجدون بالمدرسة يتجمعون بالعشرات لقراءة ذلك المقال ويظلون يناقشونه لساعات فلفت ذلك الأمر ضباط المدرسة وشيئاً فشيئاً أخذت مضايقات الرؤساء تحيط بي من كل جانب بأساليب مختلفة فلم يكن هناك مفر سوى أن أفكر في الاستقالة، بل أني تقدمت بها بالفعل ولكنها رفضت.. لم تكن المقالات أدبية خالصة، ولكنها كانت تتناول شئون الحياة وقضايا المجتمع.

كان ضابط الشئون الإدارية والمالية في المدرسة هو المقدم المرحوم ميلاد الطوير وكان يكن لي شديد الاحترام وكان يقرأ مقالاتي ويثني عليها، فلما سألته عن سبب رفض الاستقبال قال لي وهو يضحك:

- شوف يا سيدي، قبل أن بدأ في الكتابة رشحناك أكثر من مرة للترقية فكانت الرئاسة ترد علينا بالرفض وتعلل ذلك بصغر سنك (23) سنة، وأرفض استقالتك فأن هناك رأي من المسؤولين الكبار يقول بأن بقاءه في الشرطة أفضل حيث يسهل الضغط عليه فيتوقف عن الكتابة.

وبعد أيام جاء المرحوم الطوير إلى مكتبي بالمدرسة وعلى وجهه علامات الاستياء فقال لي:

لقد وردت رسالة من الرئاسة وفيها قرار نقلك إلى نقطة شركة بوكماش ثم جلس صامتاً عند مكتبي، قلت له وما الحل؟.

أجابني وهل مازالت تفكر في الاستقالة، قلت له: وبإصرار أكثر من قبل فأشار على بتقديم طلب إجازة فإذا انتهت الإجازة ولم تقبل استقالتك تستطيع أن تحصل على إجازة طبية وفي الأثناء والكلام مازال لحضرة الضابط ميلاد الطوير سأبدل جهدي حتى تقبل استقالتك وكان الأمر كذلك.. قدمت طلب إجازة وانقطعت عن العمل لمدة شهر، ذهب

ميلاد الطوير إلى الزعيم سالم بن طالب وكان وقتها مفوض شرطة ولاية طرابلس الغرب وترجاه أن يقبل استقالتي، وفي أحد الأيام مررت على المقهى التجاري (كافي كوميرشو) حيث كان من عادة ميلاد الطوير أن يجلس كل مساء هناك لأسأله عن الأخبار إلا أنني هذه المرة ما أن جلست حتى مد يده إليَّ مصافحاً وهو يقول مبروك لقد قبلت الإجازة، كانت لحظة فرح عارم، وأخذ رحمه الله يقدم لي بعض النصائح حتى لا أعرض نفسي لمخاطر كثيرة بسبب تلك المقالات، شكرته من الأعماق وانصرفت..

ما العمل؟

أصبحت عاطلا عن العمل .. ولكن ليست على عاتقي مسؤوليات كثيرة رغم أني أعيل والدتي وأخي الهادي الأصغر مني رحمه الله، وكنت عرفت طريقي إلى الإذاعة في مقرها القديم بشارع الزاوية أشارك في بعض التمثيليات الإذاعية، وكان هذا العمل يدر جنيهات قليلة ولكنها كانت كافية لمواجهة ضرورات الحياة..

وبسبب هذه المشاركة تعرفت إلى عناصر الوسط الإذاعي والممثلين منهم على وجه الخصوص، كان بينهم الفنان المرحوم إسماعيل ريحان وأخيه محمد ريحان ولطفي بن موسي وعبد الرزاق بن نعسان وعلى المشرقي كاتب النصوص أيضاً فضلا عن المرحوم كاظم نديم ومحمد بن صوفيا، وهذا التعارف فتح أبواب طرابلس أمامي بشكل أوسع وأذكر أننا شكلنا فرقة تمثيل واتخذنا لها مقرا في المدينة القديمة قرب زنقة الريح وبدأ ممثلا إذاعيا ومسرحيا، أذكر أنني اشتركت في مسرحية بعنوان (ثمن الحرية) قدمت على مسرح الحمراء بطرابلس ثم قدمت بمدينة غريان، وقمت فيها بدور محام يصول ويجول على خشبة المسرح، ألم أقل أنني كنت كما يبدو موهوبا في الإلقاء؟!.

كانت أياماً أنشغلنا فيها بالمشاركات الثقافية والسياسية بالكتابة والتمثيل المسرحي والإذاعي ولم يكن هناك عمل إلا ويطرح قضية اجتماعية إما حرباً على التقاليد البالية التي تستشري في المجتمع أو تناقش قضايا الفقر والبطالة وتسلط الأجهزة، ولم تكن تلك الأعمال تمر بسهولة فنتعرض لمضايقات ورقابة بوليسية خفية ومع ذلك كنا نعمل وكانت أعمالنا تلاقي صدى واسعاً بين أوساط الناس حيث تتفشي الشكوى من التخلف على الرغم من أن البلاد ليست لها موارد في ذلك الوقت فالبترول لم يكتشف بعد وهي تعتمد على ما تحصل عليه مقابل القواعد التي أجرتها للأمريكان والانجليز ومعاهدات الصداقة التى كانت تجلب بعض المساعدات للدولة وما تقدمه النقطة الرابعة — الأمريكية

- التي تأسست مساعدة الدول الفقيرة، ورغم هذه الأوضاع المتردية أمام الحكومة والتى اضطرتها إلى الانحياز لمراكز النفوذ إلا أن الشعب كان يتبرم بهذا السلوك ويقاومه بشتي الطرق المتاحة أيامها وهي قليلة على كل حال، فلقد ألغى الملك بعد الاستقلال مباشرة الأحزاب غير أن العناصر الفاعلة في مجال السياسة ظلت تمارس نشاطها حتى خارج الأحزاب وتجلى ذلك في الانتخابات النيابية التى كانت دائماً تفرز عناصر وطنية خاصة في المدن الكبرى، أما في القرى والأرياف فكانت تخضع لتوافقات قبلية وعشائرية ولكن في عموم الأحوال تنتهي إلى إفراز عناصر من الوطنيين الشرفاء، والدليل على ذلك تلك المعارضة القوية التى كانت موجودة داخل مجلس النواب والمجالس التشريعية في الولايات..

• • •

لم تكد تمضي شهور على استقالتي من الشرطة حتى أعلن عن إنشاء المؤسسة الوطنية للتأمين الاجتماعي وأعلنت هذه المؤسسة عن حاجتها إلى موظفين وجاء في الإعلان أن الثلاثة الأول الذين سيفوزون في امتحان التوظيف سيمنحون الدرجة السادسة وسيرسلون في دورات إلى الخارج فبادرت على الفور في تقديم طلب للاشتراك في هذا الامتحان وعندما أعلنت النتائج فزت بالترتيب الثاني من بين المشتركين على مستوى ليبيا كان الفائز بالترتيب الأول شاب من بنغازي اسمه التائب إذا لم تخني الذاكرة، وتم تعيني رئيساً للقسم الإداري للعناية الطبية ولكن بالدرجة السابعة بدلا من السادسة، وعلى الرغم من مراجعات عديدة حول هذا التعيين الذي جاء مخالفاً للإعلان ولكن بدون فائدة، وعلى الرغم من أن مدير المؤسسة السيد مصطفي السراج كان متعاطفا معي إلا إنه لم يفعل شيئاً وأن كان اقترح على أن استقيل على أن يتم تعييني من جديد بدرجة أعلى، وكنت متشككا في جدوى هذا الاقتراح..

• • •

كانت صلتي بالإذاعة قد أصبحت تقوى يوما بعد يوم، وذات يوم وقد كنت أراجع بعض الأمور في وزارة الإنباء والإرشاد وعندما علم المرحوم الأستاذ علي المسلاتي وكان أيامها وكيلا للوزارة بوجودي هناك استدعاني الى مكتبه، وكان قارئاً جيداً ومتابعاً لما تنشره الصحف وعندما قابلته أخذ يسألني عن أوضاعي الوظيفية فشرحتها أمامه بالتفصيل وبكل تعقيداتها منذ أن كنت تابعاً للشرطة إلى أن استقر بي المقام في المؤسسة الوطنية للتأمين الاجتماعي فاقترح على أن استقيل على أن أعين في الوزارة بالفئة الخامسة غير المصنفة على أن أشترك في امتحان تعيين فيما بعد واعين بالدرجة الرابعة المصنفة وهذا

ما كان، عينت في الوزارة بتلك الفئة وندبت للعمل بالإذاعة ولكن امتحان الدرجة الرابعة تأخر كثيراً ونقل السيد على المسلاتى وتم نسيان الأمر نهائياً وأصبحت أحد مذيعي الإذاعة الليبية بالفئة الخامسة غير المصنفة..

وقدمت برامج عدة وأحاديث فكان العائد المادي من كل ذلك كثيراً بمقياس ذلك الوقت فقد تصل مكافآت الإنتاج إلي سبعين أو ثمانين جنيها شهرياً بينما راتب الدرجة الرابعة لا يتجاوز أربعين جنيها حتى أننا لم نكن نعول على راتب الدرجة بقدر ما نعول على عائد الإنتاج، ومن الملابسات في هذه الأحوال ما علق به الكاتب يوسف القويري بين أوساط المثقفين على إخباري ونشاطي فقال بلهجته المصرية التى لم يتخلص منها بعد:

■ **صيدوه الدرجة الرابعة ويتجوز وينتهي!.**

فأنظر ما حدث بعد كل هذه السنين، فمن الذي انتهي يا تري؟!.

وحتى في الإذاعة لم أتخلص من المشاغبات السياسية أذكر جيداً عندما حدثت أحداث الطلبة في الستينيات وقتل منهم من قتل – اذكر ان ذلك كان في رمضان وكنت أثناءها أقدم برنامج صباح الخير الذي يذاع بعد السحور فيما أذكر قدمت حلقة ساخنة استهليتها بقصيدة للشاعر الاسباني (فيديروكو غارسيا لوركا) يقوم مستهلها عند المساء كانت الدماء تلطخ الجدران إلى أخر وهو يصور فيها حادثة شبيهة لإحداث الطلبة جرت في أسبانيا.

ثم فاصل موسيقي ثم كلمة نصها: إذا مات الإنسان دفاعا عن فكرة فان الفكرة نفسها تصبح لها قوة الدماء اردفها بنشيد فايدة كامل (لن ينام الثأر في صدري وأن طال مداه!)، وما أن أذيعت الحلقة حتى قامت القيامة، فشكلت لجنة للتحقيق معي في الموضوع، وعندما استدعيت للمثول أمام اللجنة طلبوا منى أن أقدم لهم مادة الحلقة المكتوبة، فقلتُ لهم أنا لا احتفظ بأية أوراق بل أنني أتلفها بمجرد الفراغ من تسجيلها، فتشاوروا فيما بينهم ثم قرروا أن يحققوا معي بالاستماع إلى الحلقة المسجلة، وهكذا استدعوا الصديق مصطفى الخوجه وكان أميناً للمكتبة الفنية وطلبوا منه أن يحضر الحلقة للاستشهاد بها في التحقيق لكن مصطفي فاجأهم بالقول نحن لا نحتفظ بالأشرطة بل نعطيها للمنتجين للتسجيل عليها من جديد، الإذاعة فقيرة في الأشرطة هكذا انقدني الخوجة من ورطة وهو كان شاباً متحمساً متوقدا وقد علم بأمر لجنة التحقيق فعرف كيف يتصرف، وانصرفت اللجنة دون أن تصل إلى نتيجة.

كانت أجواء الإذاعة مكتضة بالعناصر الوطنية التى تتقد بالحماس، وفي مرة أخرى التقيت مع الأستاذ عبد اللطيف الشويرف بعد تعيينه وزيرا للإنباء والإرشاد فقال لي حتى وأنا وزير لا أسمح لنفسي بأن أفرض اتجاهي أو وجهة نظري على الآخرين، وطلب مني أن أشارك بجدية في إثراء برامج الإذاعة بحرية ومسؤولية وقلت له أنا سأشارك، وإذا اردتني أن أشارك فى كتابة تعليقات الإذاعة فاقترح عليك أن تصدر أمراً أن تذاع التعليقات بأسماء كتابها حتى يكون كل كاتب مسئول أمام الناس على ما كتب وكان الأمر كذلك وأصبحت التعليقات تذاع بالأسماء.

■ يقول المذيع تعليق اليوم بعنوان كذا كتبه للإذاعة فلان..

وفي أحد المرات كتبت تعليقاً بعنوان (حقيقة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط) أرسلت التعليق للرقابة فعاد إلى ونصفه مشطوب بالقلم الأحمر فتوكلت على الله ودخلت الأستوديو وقرأت التعليق كما كتبته وأذيع بعد نشرة الظهيرة، وما أن أذيع حتى انقلبت الدنيا رأسا على عقب وأثار زوبعة لا في الإذاعة فحسب ولكن في أوساط مدينة طرابلس كلها حتى علق أحدهم بأن صوت العرب قد تحول إلى ليبيا كان صوت العرب الذي يذاع من القاهرة أيام المد العربي يشد الناس الذين يتأثرون بتعليقات أحمد سعيد الحماسية.

وكانت أختي الأكبر مني في طريقها إلى بيتنا بواسطة الاتوبوس فسمعت الناس يتحدثون عن التعليق ويذكرون اسمي، فما أن رأتني حتى قالت لي (شن درت في الإذاعة) الناس يتكلمون عنك طول الطريق في الاتوبيس فضحكت ولم أرد عليها، وفي المساء ذهبت إلى الإذاعة وأنا أعرف ما الذي ستكون عليه ردة الفعل وهناك وجدت عدداً من مذيعي المساء متجمعين وهم يسألونني عن التفاصيل فرويت لهم ما حدث وقلت لهم أنهم سيعيدون تسجيل التعليق بصوت آخر وأتمني ألا يقوم أي منكم بقراءته فوافقوني وكان موقفا نبيلا، ولكن زميل فلسطيني كلف بإعادة التسجيل فذهبت إلى نائب مدير الإذاعة وكان أيامها هو الأستاذ عبد العزيز الرحيبى ولم التفت إلى عتابه على تصرفي كل ما قلته له التعليق يحمل اسمي وأنا مسؤول عن كل كلمة فيه فإذا أردتم أن تعيدوه بالنص الذي تصرفتم فيه فأرجوكم إلا تذيعوه باسمي لأنه في هذه الحالة لا يمثلني .

وكان الأمر كذلك فقد أذيع في المساء بدون اسم، ولم أكن أتصور أن صدى ذلك التعليق ظل موجوداً حتى بعد حركة 9/1 الانقلابية، فعندما تمت محاكمتني فيما سمي زورا بمحكمة الشعب وكانت التهمة الموجهة لي (تضليل الرأي العام . كذا!!).

وكان في جلسة المحكمة عدد آخر من الإعلاميين ومن الصدف أن يكون في القفص معي الأستاذ عبد العزيز الرحيبى نائب مدير الإذاعة الذي راقب التعليق وشطب ما شطب منه، وفوجئت بأن رئيس المحكمة الرائد بشير هوادي يسألني عن قصة ذلك التعليق، فرويت له الملابسات بدقة شديدة بحيث أتفادي أي كلمة يمكن أن تمس الأستاذ الرحيبى وهو معي في القفص.

كانت أجواء الإذاعة كما قلت مليئة بالوطنيين والشرفاء.

واستطراد حول أمر ذلك التعليق المشهور بعد إذاعته حضر في اليوم التالي إلى مقر الإذاعة السفير الأمريكي وقابل مدير الإذاعة محتجا على ما جاء في التعليق، ولكن مدير الإذاعة لم يرد عليه بشيء وإنما قال له بأن سياسية الإذاعة مسؤول عنها وزير الأنباء والإرشاد، فذهب السفير إلى الوزير ولكن الوزير الأستاذ الشويرف رد عليه بكل لباقة قائلاً إذا لديك أي إحتجاج فقدمه لوزارة الخارجية ثم أن هذه اسمها الإذاعة الليبية وليست صوت أمريكا!.

وأذكر أن حرب 1967 حمستنا جميعاً في الإذاعة حيث تجمعنا كلنا في الإذاعة وبدأنا نأخذ البلاغات الحربية مباشرة من وكالات الأنباء ونذيعها على الهواء مباشرة دون استئذان مدير الإذاعة كنا صدى للشارع الليبي الذي استبد به الحماس خلال الأيام الأولى للحرب، ولكن عندما بدأت غيوم الهزيمة تلوح في الأفق وخرج الناس إلى الشوارع وشرعوا يداهمون بعض محلات اليهود طلبوا منا نحن المذيعين أن يخرج أحدنا في سيارة بها مكبر صوت ويهدئ الناس فرفضنا جميعا، ولم يجرؤ أحد أن يجبرنا على ذلك..

خلال الأيام الأولى من أيام تلك الحرب وقبل الهزيمة بلغ الحماس بين المذيعين ذروته فالتزم مدير الإذاعة مصطفى بن شعبان مكتبه في الدور الأول من المبني وتركنا نتصرف كما نشاء دون أن يتدخل ولو بالهاتف، وبلغ الحماس بالزميل ناصر عبد السميع أن نربط مع إذاعة صوت العرب مباشرة ونأخذ بثا منها، ولكننا ناقشنا هذا الاقتراح ورفضناه تماماً، لكن لا أحد يتصور مدي إحساسنا بالخيبة بعد أن أصبحت الهزيمة تلوح في الأفق.

العنترة وكساحة الراس ظلت سلوكا لم أستطيع التخلص منه، فترات مرة عندما دخل وزير الأنباء والإرشاد السيد احمد الصالحين الهونى إلى مبني الإذاعة وكنت اجلس في صالون الممر أنتظر موعد نشرة الأخبار لأدخل الأستوديو وأقوم بقراءتها بادرني عندما رآني:

- أهلا يا أحمر.
- تلميحاً إلى تهمة الشيوعية التي كانت تلاحقني فرددت عليه على الفور:
- أهلا ياللي ما عندكش لون!.

فضحك واستأنف طريقه إلى مكتب مدير الإذاعة، وانتهت المسألة عند هذا الحد.

وفي مرة كنت فى أستوديو الإرسال قبل موعد النشرة أتحدث مع مهندس الأستوديو غاضباً من مدير الإذاعة السيد مصطفي بن شعبان وانعته باحط الأوصاف، والمهندس ساكتا لا يتكلم وعندما التفتُ وجدت المدير واقفا خلفي تماما فخجلت من نفسي ولم أتكلم ودخلت الأستوديو..

وفي اليوم التالي استدعاني السيد المدير الى مكتبه فدعوت الله أن يمر هذا اليوم على خير فهو قد سمع شتائمي له فماذا أفعل، وعندما دخلت عليه في المكتب بادرني بالقول يبدو أن أعصابك تعبانة هذه الأيام، مر على الشئون المالية والإدارية فستجد تذكرة سفر إلى مالطا ومبلغاً من المال ريح أعصابك كم يوم وأرجع..

اعتذرت له عما حصل في الأستوديو وقلت له فعلا أعصابي تعبانة ولكن ما تفوهت به كان في لحظة غضب فضحك وهو يقول أسبوع في مالطا كويس..

●●●

أسبوع مالطا ذلك كان أول خروج لي من ليبيا، أما الخروج الثاني فقد كان إلى تونس في أطار التبادل الثقافي الذي ينص على تبادل بعثات ثقافية من هذا القبيل تدوم فترة طويلة لكنه كان خروجا فبهني لأول مرة أني أنا والحكومة لسنا على وئام، ففي اليوم المحدد للسفر ركبنا الحافلة، كنا مجموعة من طرابلس وبنغازي والمرأة الوحيدة بيننا كانت السيدة طيبة الذكر خديجة الجهمي رحمها الله، وما أن وصلنا الحدود بين ليبيا وتونس ونزلنا لإتمام إجراءات الجوازات ولم يستغرق ذلك سوى أقل من ساعة وعدنا إلى الحافلة وقبل أن تتحرك الحافلة جاء رجل الجوازات يجري لاهثا وهو ينادي على اسمي:

- **كامل عراب، كامل عراب.**

قلت له خير أن شاء الله، قال لي لو سمحت دقيقة نزلت معه إلى مكتب الحدود فطلب مني جواز سفر وحين أعطيته له وبعد أن أخذت فتح الصفحة التى بها تأشيرة المرور وشطبها (ألغيت بسبب عدم سفره) وذهلت فقلت له ما معني ذلك أنا مسافر وفي بعثه رسمية قال لي وهو يعتذر، الذنب ليس ذنبي أنت في قائمة الممنوعين من السفر!.

تستطيع أن تراجع الأمر في طرابلس، وكانت (حوسة) بين أعضاء البعثة وأصرت السيدة خديجة على العودة وهي تقول (يا نسافروا كلنا يا نرجعوا كلنا) ولكني الحيت عليها في التراجع عن هذا الموقف وقلت لها لابد أن طرابلس تجد حلا وهذا ما كان سافر الوفد ورجعت أنا، أنا لم أعد إلى منزلي وإنما ذهبت مباشرة إلى منزل الأستاذ على المسلاتي وكيل الوزارة ففوجئ هو الآخر بهذا الأمر وقال لي سأتصل برئيس الوزراء الآن وإذا لم تحل هذه المشكلة فسأطلب من البعثة كلها أن تعود، قلت له ما ذنب الآخرين سكت ودعاني إلى بيته وأخذ يتصل برئيس الوزراء وبعد أقل من ساعة قال لي لقد حلت المشكلة ومدير المهاجرة في سبيل إصدار تعليمات للحدود ليسمحوا لك بالسفر بناء على تعليمات رئيس الوزراء.

وأتصل بالإذاعة وطلب منهم أن يخصصوا لي سيارة لتنقلني إلى تونس وهذا ما كان، وفي الحدود وجدت نفس الضابط الذي ألغى التأشيرة والذي أخذ يعتذر وهو يشرح لي المبررات لكنه قال لي وهو يعيد ختم جواز السفر مرة أخرى أطلب من الحكومة أن تعمم على كل الحدود ما يفيد إلغاء أسمك من هذه القائمة الملعونة لأنها موجودة في كل الحدود الليبية برية وبحرية وجوية.. قلت له غير سقدني توا وبعدين يامن عاش!.

كنت متشوقاً إلى الذهاب إلى تونس واللحاق بالزملاء الذين سبقوني.

كنت قد تواصلت مع تونس قبل ذلك عن طريق النشر فلقد كان المرحوم الأستاذ عبد الله القويرى قد أتفق مع جريدة الصباح التونسية ورئيس تحريرها الأستاذ الهادي العبيدى على تخصيص صفحة للأدب المغاربي وكنت نشرت عدداً قليلاً من القصص القصيرة في هذه الصفحة، وبعثة تونس استمرت سنة إلا قليلاً وكان من بين أعضائها المرحوم بلقاسم بن دادو من بنغازي وشخص أخر من الوسط الإذاعي نسيت اسمه، وحسن عريبي المعروف وعمران راغب المدنيني وموسيقيين وممثلين، وكان من أبرز الإذاعيين التونسيين الذين ربطتنا بهم علاقات حمودة معالي المشهور وتوفيق العبدللي وعبد العزيز عشيش والشاعرة زبيدة بشير وآخرين كثر وكانت أياما تونسية مبهجة.

ولازالت أذكر تلك الليلة التي أقام لنا فيها السفير الليبي – ونسيت اسمه للأسف – حفلة استقبال دعى إليها شخصيات تونسية كثيرة وأدباء وفنانين ومثقفين، ولا أدري ما الذي أثار جدلا بيني وبين السيد محمد مزالي وكان أيامها مديرا للإذاعة وكان الجدل حول سياسة الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة العربية، ولقد كان صوتنا يرتفع بين الحاضرين من وقت لآخر.

مما جعل السفير يقترب منا وهو يقول إذا كنتم ستتجادلون طويلاً فأن هناك صالون في الدور الثاني بإمكانكم أن تتجادلوا فيه حتى تشبعوا وفعلاً انتقلنا إلى ذلك الصالون العلوي واستمر النقاش وانضم إلينا بعض ممن كانوا في الحفل وضللنا هكذا حتى الساعات الأولى من الصباح فلقد كان السيد مزالي بورقيبي حتى العظم وكنت أنا كأي ليبي متحمسا للقضايا العربية الساخنة أيامها هل كان التاريخ 1960م ربما وأنا غبي جداً في تذكر التواريخ كما ذكرت في مقدمة هذا الكتاب.

●●●

أطول مدة وظيفية في حياتي قضيتها في الإذاعة بطبيعة الحال وهي مليئة بمفارقات ومواقف، أذكر أن الوزير السيد أحمد الصالحين الهوني قد جاء لي ذات مرة بشاب يريد أن يلتحق بالإذاعة كمذيع وطلب مني أن أجرى له الامتحان اللازم، ففعلت واكتشفت من خلال تجربة الصوت أنه لا يصلح أن يكون مذيعاً فلما أبلغت الوزير بتلك النتيجة اسقط من يده وقال لي وهو يضرب كفا بكف ولكن هذا أوصى به رئيس الوزراء.

قلت له يوصي به رئيس الوزراء أو حتى الملك قلت لك لا يصلح لا يصلح ولو لم يعترض الوزير فأبلغ الرئيس بالأمر وكان الرئيس أيضاً موضوعياً فلم يعلق على الموضوع.

وبعد سنوات عندما قررت أن أكتب في جريدة العرب التى يصدرها السيد احمد الصالحين من لندن كتب افتتاحية عن هذه الحادثة بعنوان (مرحباً بكامل عراب ودرس للإعلام العربي) وأشار فيها إلى أنه وهو الوزير لم يستطيع أن يفرض رأيه على كامل عراب المذيع، غير أن السيد أحمد الصالحين بما لديه من دهاء لم يترك تلك الافتتاحية إلا بعد أن ضمنها غمزه ماكرة حيث قال واليوم – يعني بعد انقلاب 9/1 - أصبح ذلك الشخص من أبرز المذيعين..

وكلفت مرة أخرى بإجراء امتحان لشخصين يريدان أن يصبحا مذيعين في الإذاعة وسرب لي أحدهم معلومة بأن رئيس الوزراء أيضاً يريدهما مذيعين فلما أجريت لهما الامتحان اكتشفت إنهما مؤهلين صوتيا لهذه المهنة، على أن نصحتهما بالقول إذا كان رئيس الوزراء قد أوصى بكما لتكونا في هذا العمل وأنتما شابين في مقبل العمر وتحملان الشهادة الثانوية فخير لكما أن تطلبا منه بأن يرسلكما في بعثة لأكمال دراستكما في الخارج، والشخصان كانا هما.

محمد بلقاسم الزوي الذي أصبح في عهد ثورة القذافي وزيراً وسفيراً وأميناً لمؤتمر

الشعب العام إلى أن قامت ثورة 17 فبراير، وأما الآخر فقد كان المدني الصديق الذي أرسل لإكمال دراسته في فرنسا وأصبح يحمل درجة الدكتوراه، ولعله أستاذ بالجامعة الآن..

وكساحة الراس والعنترة مازالت تغلي في رأس العبد لله.

ففي مرة طلب مني مدير الإذاعة أن أذهب إلى الشيخ منصور المحجوب لاجرى معه مقابلة وكان الشيخ رجلا مهابا يخشاه الجميع لصلته الوثيقة بالملك فانتظرت سيارة الإذاعة الى ان حضرت وذهبت الى الشيخ متأخراً حوالي نصف ساعة، وعندما وصلت الى مكتبه وجدت مدير المكتب منزعجا وهو يقول (الشيخ طايرتله يراجي فيك من بكري) قلت له سبب التعطيل هو سيارة الإذاعة التى كانت في مشوار، فدخل على الشيخ وأبلغه بحضورى ولكن الشيخ قال له اصرفه لا أريد مقابلات. فانصرفت وانقلبت الدنيا كعادتها في مثل هذه المواقف، لكن مدير الإذاعة اتصل بالشيخ منصور واعتذر له وشرح له الظروف فوافق الشيخ على أن تكون المقابلة في اليوم التالي واتخذت كافة الترتيبات لتأمين وصولي في الوقت المناسب حتى لا يغضب الشيخ مرة أخرى وفعلاً وصلت في الموعد وابلغه مدير المكتب بحضوري فقال له قل له أن ينتظر فانتظرت وانتظرت ساعة كاملة ولم يتفرغ الشيخ للمقابلة.

عندها قلت لمدير المكتب أنا ذاهب فالشيخ أيضاً لم يحافظ على الموعد، وعبثا حاول مدير المكتب أن يثني عن موقفي وهو يحذرني من عواقب هذا التصرف فلم التفت إليه وانصرفت!.

وقدمت تقريراً لمدير الإذاعة شرحت فيه الموقف كاملاً في المرة الأولى والمرة الثانية، وانتهت المسألة عند هذا الحد، ولم يحدث ما حذروني منه..

الفئة الخامسة اللعينة ..

لم يعدل وضعي الوظيفي كما وعدني عندما انتسبت للإذاعة وظللت انتظر وفي إحدى السنوات كنت في مدينة البيضاء لافتتاح إذاعتها المحلية وتسييرها لبعض الوقت، وفي أحد الأيام فوجئت بزميل يتصل بي من طرابلس ويبلغني أنه تم الإعلان عن امتحان للدرجة الرابعة من قبل الإذاعة وقال لي لا تدع فرصة الاشتراك فى هذا الامتحان تفلت منك، فأرسلت برقية على الفور أطلب إدراجي اسمي بين المتقدمين لهذا الامتحان..

فى تلك الأيام جرت العادة لتصنيف الموظفين بإجراء امتحانات شكلية مفصلة على قياس المراد تصنيفهم لأن الدرجة الرابعة المصنفة كانت مقتصرة على خريجي الجامعات أما من لا يحمل شهادة جامعية ويراد تصنيفه فيجري له امتحان وتوضع شروط امتحان تنطبق عليه ولا تنطبق على غيرها وهو تحايل على القانون مقبول، وامتحان الإذاعة ذاك كان المقصود به تصنيف اثنين آخرين من المذيعين غيري أنا ولما انطبقت علي الشروط لم يكن مفر من قبول طلبي بالاشتراك في الامتحان، كنا أذن ثلاثة تنطبق عليهم الشروط والدرجات اثنيان اللاتي يراد شغلها.

وبعد إجراء الامتحان بإشراف إدارة الخدمة المدنية اتضح أني نجحت بالترتيب الأول ونجح الاثنان الآخران أيضاً ولكن بترتيب أقل، فما الحل هل أقول مرة ثالثة أو رابعة انقلبت الدنيا رأساً على عقب؟.

بلاش منها ولت جملة بايخة!.

وأبلغت النتيجة للسيد أبو بكر الحلو مدير عام الخدمة المدنية فتمسك بالنتيجة وقال لهم تمنح الدرجتان للأول والثاني، طيب كنا ثلاثة واحدنا معجب به السيد الرئيس، حتى

الجملة هاذي ولت بايخة ولكن ما الحيلة إذ كان رئيس الوزراء يدس أنفه وإن على استحياء في مثل هذه الأمور؟.

وأبلغ السيد أبو بكر الحلو مدير الخدمة المدنية بهذا الأمر الخفي فرد بأن السيد الرئيس إذا كان معجباً بفلان فعليه أن يعلق صورته في حجرة نومه!!.

كان الرجل جريئاً ومنصفاً لكن المهم أن نظام الدولة نفسه كان متينا وعادلاً..

وكان الأمر كذلك تخلف واحد وصنفت أنا على الدرجة الرابعة..

الرئيس المعجب

كان الرئيس المعجب بالمذيع اياه هو الدكتور محي الدين فكيني والدكتور بلدياتي فهو رجباني أصيل ومن عائلة فكيني المجاهدة وأكثر من ذلك تربط بيني وبينه صلة قرابة من ناحية الأم، فوالدته من عائلة نوير من قبيلة أولاد مسعود وامى من عائلة الكيش من القبيلة نفسها والعائلتان هما عائلة واحدة في الأصل وان كان (نوير) لقب دخيل على الاكياش، ولكني لم أرى الدكتور فكيني إلا في مأتم أخيه الأكبر منه المرحوم على فكيني، ويرجع ذلك إلى حادثة مررت بها في أول عمري عندما كان الدكتور محي الدين ناظراً في المجلس التنفيذي في ولاية طرابلس.

فعندما تركت الدراسة على نحو ما ذكرت في الصفحات السابقة اقترح على أخي ان نذهب الى الدكتور في بيته لعله يوصي بي لوظيفة في البنك المصري الذي افتتح فرعه في طرابلس حديثاً ومازال في حاجة الى موظفين فامتثلتُ وذهبنا معا إلى بيت العائلة فاستقبلنا اخوه على وبعد ان جلسنا شرح له أخي محمد الغرض الذي جئنا من أجله.

فسكت ثم لم يلبث أن دخل الى الداخل ثم عاد بعد لحظات وقدم لأخي بطاقة باسم الدكتور وهو يقول هذه ستنفعكم أن شاء الله، ليس بها حرف واحد بخط الدكتور وأتضح أن الأخ على لم يبلغ الدكتور بشيء على الإطلاق وتصرف على هذا النحو، لقد تشاءمت أنا من الموقف ولكن قلت بيني وبين نفسي لا بأس فلنجرب.

وفي اليوم الثاني ذهبت إلى بنك مصر وقابلني الأخ عريبي الساحلي الذي كان من أول الموظفين آنذاك في البنك المذكور ولما قدمت له الكارت وقلبه جيداً ضحك وهو يقول كان السيد محي الدين يريد أن يوصي بك فعلا لكتب شيئاً على هذه البطاقة فخرجت ولم أعد للبنك مرة ثانية..

الدكتور محي الدين فكيني رجل كفء تماماً ومثقف فهو خريج السوربون ومن عائلة معروفة لاعلى مستوى الجبل فحسب ولكن على مستوى كل ليبيا ولكنه عاش في المهجر – في تونس – ولأن أخوه علي يكبره سناً فقد سيطر عليه تماماً وعزله عن الناس وحرمه من بناء علاقات جيدة في ليبيا وأنا لا أبالغ إذا قلت بأنه أساء إليه كثيراً بهذا السلوك بل أن الدكتور نفسه كان يردد ذلك مع اقرب المقربين له كان يقول دائماً سيدي على (حرمني من معرفة الناس)، أما من الناحية الوطنية فلقد كانت له مواقف جيدة سيذكرها التاريخ، المرة الوحيدة التي قابلته فيها كانت عند وفاة أخيه علي، فقد ذهبت إليه فوجدته معزولا عن بقية المعزين يجلس في زاوية منفرداً ليس معه سوى شخص أو شخصين، وبعد عبارات العزاء قدمت له نفسي، قلت له أنا كامل عراب فرحب بي بحرارة، وقال بأن أكثر من واحد كان يقول لي أن لكم رجباني كاتب موهوب وأعلامي متميز هو كامل عراب فأقول لهم هذا الشخص لم أره أبداً، فقلت في نفسي (لقد قررت أن أشق طريق بعيداً عنك، ولم أكن في حاجة إلى عكاكيز استند إليها).

وقدرت محنة العزلة التى اختارها له أخوه.. وجاملنا بعضنا لبعض الوقت ثم ودعته وأنا مشفق عليه، رحم الله الدكتور ورحم أخيه علي ورحم والده المجاهد.

●●●

تلوح لي الآن بعض الاضاءات في أعمالي الإذاعية، فقد رافقت بعثة الحج عام 1966 ذات موسم وسافرنا بواسطة الباخرة وقد أرسلت من الأراضي المقدسة تسجيلات اعتز بها حتى الآن بل ربما كان المسؤولون بالإذاعة يعتزون بها أيضاً.

ففي أثناء الرحلة أرسل لي مدير الإذاعة برقيتين يثني فيها على عملي ويطلب مني الاستمرار في ذلك النهج.

وأذكر أنني تسللت أنا وفني التسجيل بآلتنا إلى محيط الكعبة المشرفة في اليوم المقرر أن يقوم فيه الملك فيصل بغسل الكعبة، فقد كان ممنوعا على الصحفيين أن يقتربوا من ذلك المحيط في ذلك اليوم، وظللنا نخفي الآلة إلى آن لاح موكب الملك من بعيد وعندما اقترب أخرجت الآلة وأخذت أصور الموقف، وقد وقعت في سهو أثناء انفعالي وأنا اصف فقلت (ها هو حامي حمي الحرمين الشريفين يتوجه لغسل الكعبة المشرفة فوقعت العبارة في أذن الملك فالتفت لي رحمه الله وهو يقول:

- **أنا لست حامي الحرمين يا ابني بل خادمهما فللبيت رب يحميه،**
- **فقلت: عفواً يا جلالة الملك أنها زلة لسان، ابتسم ثم مضى.**

وبعد أن انتهى الحفل أحاط بي رجال الأمن وهم يسألونني كيف دخلت بهذه الآلة

اللعينة ومع ذلك لم يفعلوا شيئاً إلا أن حققوا معي وتأكدوا من شخصيتي وأرسلت رسائل قال كثيرون أنها كانت متميزة من مؤتمر القمة السادس بالخرطوم الذي أعقب هزيمة عام 1967 والمعروف بمؤتمر اللاءات الثلاثة وَبُعث في إحدى تلك الرسائل الصوتية بتوقعاتي بالمصالحة بين مصر والسعودية .

حيث رأيت جمال عبد الناصر والملك فيصل ولم اعدا أتذكر ما إذا في ذلك الوقت ملكاً أو ولياً للعهد يجلسان منفردين في حديقة الفندق المخصص للرؤساء لمدة ربع ساعة تقريباً، وهذا ما حدث، لقد جاء عبد الناصر لذلك المؤتمر منكسرا حيث رأيته يخرج من باب الطائرة شبه فنكس الرأس لكنه ما أن وقف هنيهة ورأى الجماهير السودانية الغفيرة التي هرعت لاستقباله حتى استوت قامته وأخذ يلوح بكلتا يديه محييا الجماهير التي ضجت بالهتافات العالية بل أن وزير الإعلام السوداني عبد الماجد حسبو تولى بنفسه وصف لحظة وصول عبد الناصر وظل في سيارة مجهزة بمكبر صوت يصف الموكب وهو في طريقه إلى مقر الملوك والرؤساء، كنا نحضر جلسات المؤتمر إلا عندما تعلن مغلقة، وفي مرة تلكأت في الخروج مناكفاً فطلب مني أحد الحراس أن أسرع في الخروج فقلت له لن أخرج إلا بعد خروج ذلك، وأشرت إلى محمد حسنين هيكل الذي لم يكن يجلس معنا نحن الصحفيين وتصورت أنه مجرد تقدير لمكانته فقال لي الحارس (سلامة النظر ذلك الذي تشير إليه عضو رسمي في الوفد المصري).

عندها فقط خرجت، وقد صادفتني مشاكل في إرسال الرسائل الصوتية حيث حاولت أن احجز خطا هاتفياً عن طريق القاهرة إلى طرابلس فلم يستجب لي موظف البريد في القاهرة متعللا بأنه ليس لإذاعتنا حجز مسبق لهذا الأمر فهددته وقلت له أنا على بعد خطوتين من عبد الناصر فإذا لم تفتح لي الخط بالله سأندفع له وأبلغه الأمر، عندها فقط استجاب وفتح الخط، وفي مرة أخرى وكنا في مبني البريد السوداني صادفتنا مشكلة في فتح الخط الهاتفي من الخرطوم فذهب الفني الذي كان برفقتي إلى مكان العطب وأصلحه ، وبالصدفة كان هناك مراسل أجنبي بقربنا يتابع ما حدث وما أن أصلح الفني الليبي خط الهاتف حتى التفت إلينا الرجل وهو يثني على زميلي وقال بأن له ساعتان ولم ينجح أحد منهم في إصلاح العطب.

كانت أيام الخرطوم معاناة حقيقية وبعد أن عدنا إلى طرابلس والتقيت مع الأستاذ خليفة التليسي في الإذاعة وكان أيامها وزيراً للإعلام فحكيت له ما حصل وما عانينا فرد بكل برود (كنت تريح روحك وتفكك من ها التعب) وبهت هل هكذا ينظر وزير الإعلام الأديب المثقف إلى هذه المهمات الإعلامية في هذه الظروف التى تمر بها الأمة.

●●●

ساس يسوس سياسة

عندما قلت وأنا مع الدكتور المرحوم محي الدين فكيني رئيس الوزراء السابق وأنا اعزيه في وفاة أخيه على (أنت في طريق وأنا فى طريق).

كانت تلك الكلمة المكتوبة في صدري تعني لي الكثير، فوظائف الحكومة الكبرى لم تكن تعني لي شيئاً بل أني وقفت في الاتجاه الاخر منها لأنني كنت اهيء نفسي لعمل سياسي مختلف، عمل سياسي يشارك مع الأخريين في إصلاح الأمور وتقويم المعوج والمنحرف من سلوك المسؤولين في الدولة والحكم كله بشكل عام، فعندما بدأنا أكتب وأنشر مقالاتي في الصحف وتعرفت الى رموز الطليعة من المثقفين في البلاد أصبحت الأضواء تسلط علي في كل جانب، وأقصد الأضواء المباحثية بالذات، وفي هذه الأثناء استدعاني ابن عمي المرحوم الأستاذ محمد مصطفى عراب وكان في ذلك الوقت عضواً بالمجلس التشريعي للولاية وناشطاً مرموقاً داخل المجلس وفاتحني في أمر الكتابة التي بدأت مشاغبة الى حد، وقال لي أريد أن أخبرك بأنك مرشح لوظيفة هامة في الدولة ولكنك أولاً يجب أن تتخلى عن الاتجاه الذي تسير فيه، قلت له أي اتجاه، رد علي بكل صراحة: هذه الكتابات التى تنشرها وهذه العلاقات التى كونتها مع أشخاص تعتبرهم الدولة خطرين وذوي اتجاهات حزبية وأنت تعرف بأن الحزبية جريمة بحسب القانون.

قلت له: أما الحزبية فأنا بعيد عنها على الأقل حتى الآن وأما المشاغبات السياسية فحتى أنت نفسك الم ينتخبك الناس لهذه المهمة أي مهمة أصلاح الأحوال والرقابة على تصرفات الحكومة الا يعلو صوتك بين الحين والآخر داخل المجلس تحاسب مع زملائك الحكومة على تصرفاتها وتحاسبوها إذا حادت عن الطريق الذي يريده الشعب.

قال لي أنا شيء وأنت شيء آخر أنا داخل مجلس منتحب وأتمتع بحصانة ما وأما أنت ماذا تفعل إذا قبضوا عليك وأودعوك السجن ، أنك ستخسر مستقبلك على كل حال، قلت له المستقبل بيد الله، وانقطع الحديث بيننا صحيح أن أبن عمي يكبرني في السن وتربينا في عائلتنا أن نحترم أقاربنا الذين يكبروننا في السن كآبائنا ولكن في مثل هذه الأمور فالوضع يختلف تماماً..

مدينة طرابلس كانت مدينة صغيرة نسبياً في ذلك الوقت وكان التعارف بين شباب الطليعة سهلاً فهم يلتقون أما في نوادي أو على مقاهي أو في أماكن آلفوها بحكم العمل أو تنوع الحياة الاجتماعية بكل مكوناتها.

أما بالنسبة لي شخصياً فقد كانت عضوية (الفرقة الليبية الحديثة للتمثيل) والنشاط الإذاعي والصحفي باباً واسعاً لبناء علاقات حميمة مع المثقفين والنشطاء السياسيين وكانت جريدة الليبي لصاحبها المحامي الأستاذ على الديب ومحررها الأستاذ الصحفي القدير فاضل المسعودى الذي كان بتولاها وتولي صحيفة الرائد كانت هذه الساحات فرصة للقاءات يومية يدور فيها الحديث لا عن الثقافة والأدب وإنما عن السياسية في الدرجة الأولى وقضايا البلاد ومشاكلها ولقد اكتشفنا من خلال هذه اللقاءاتِ أن آراءنا جميعاً تكاد تكون متقاربة في كثير من الأمور.

وفي صحيفة الليبي نشرت عدة مقالات صحفية وأن كنت أوقعها باسم مستعار فأحياناً كنت أوقع باسم (سمّاك) عندما كنت أناقش مشاكل الصيادين وعمال الميناء ودفعت بالاسم المستعار (ابن الربيع) و(ابو الهيثم) وغير ذلك من الأسماء ولم أشأو أن أوقع باسمي الصريح إلا نادراً، وفي أحد المرات نشرت مقالة صحفية قصيرة باسمي كاملا وكانت من الأوضاع الصحية المتردية فلقد تصادف أن ناظر المرحوم سالم الصادق سافر الى الخارج فكتبت أقول بشرى للشعب الليبي فقد أصيب السيد الناظر بالزكام وسافر إلى الخارج للعلاج وهو ما سيفتح لكم الباب كلكم لتعالجوا مستقبلاً في أوروبا، كان مقالاً تهكمياً استفزازياً.

وفي الحق أن الناظر لم يسافر للعلاج وإنما سافر فى إجازة سنوية وأغضبت المقالة صاحب الجريدة السيد على الديب لسببين أول لأن الناظر لم يسافر للعلاج وإنما سافر في إجازة، وثانياً لأنه كان صديقه.

ومن الغريب أنني اكتشفت فيما بعد أن المرحوم السيد سالم الصادق كان من أعز

أصدقاء أبي رحمه الله، ولكن هذا الذي حصل، وانقطعت علاقتي بصحيفة الليبي وتحولت بعدها للكتابة في صحيفة الرائد التى أنشئت فيما بعد.

تأسس نادي الشباب الليبي واتخذ مقراً له في مبني صغير قبالة المقهى التجاري بين شارع البلدية وشارع الاستقلال قرب جامع سيدي حمودة، فقررنا نحن أعضاء (الفرقة الليبية الحديثة للتمثيل) أن ننضم إليه وحدث ذلك فعلا وحررنا محضر يلخص شروط هذا الانضمام على أن تكون الفرقة ممثلة دائماً في اللجنة الإدارية للنادي.

وكان النادي كما حال النوادي كلها في مدينة طرابلس رياضياً ثقافياً، ولكن نادي الشباب الليبي الوحيد تقريباً الذي غلب فيه النشاط الثقافي على النشاط الرياضي، كان من بين الأعضاء البارزين في النادي محمود ابو طرطور وعبد الرزاق عبدو ومحمد البهيليل وأحمد ابو غولة وعزيز زقلام وآخرين نسيت أسماؤهم بالإضافة إلى أعضاء الفرقة الذين انضموا إليه فيما بعد وقد نظمنا نشاطاً ثقافياً واسعاً يتمثل في عقد ندوات ومحاضرات.

أما المناقشات السياسية فقد كانت يومية داخل المقهى وفي الصالون وحتى أمام المبني حيث يجلس بعض الأعضاء وتدور بينهم أحاديث ومناقشات في مختلف الشؤون العامة، وقد لفت النادي نظر السلطات الحكومة فأصبح مراقبا طوال الوقت، وبين معترضين نظم النادي ذات مرة سابقة للقصة القصيرة فزت فيها بالترتيب الأول، ، اصبح النادي قبلة للطلبة الليبيين الذين يدرسون في القاهرة ويعودون في إجازاتهم الصيفية مما سلط عليه مزيداً من الأضواء وصنف أعضاءه من المشاغبين المناوئين للسياسة العامة للولاية.

وفي الحق كان النادي لا يخلو من الدعايات الحزبية التي يروج لها البعض، وفي هذا النادي كدت انتسب الى تنظيم حزب البعث بيد أن الذي حاول أن يدخلني في هذا الحزب لم يكن موفقا في إقناعي بسياسة هذا الحزب فلقد استطاع السيد أحمد الشريف وهو عضو في ذلك الحزب الذي يعمل تحت الأرض أن ينتزع موافقتي المبدئية بالفكرة.

وهو اقنع اثنين أو ثلاثة بالفكرة ونسيت من هما والله، وبدأنا نجتمع كخلية في المقهى الذي كان مقابلاً لمصرف ليبيا المركزي.

وقد افهمنا بروتوكول عمل هذه الخلية بحيث يستهل الاجتماع بالكلمة المشهورة للحزب (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) لكن السيد أحمد الشريف لم يكن في المستوي الذي توقعناه فهو كان يتحدث عن نفسه أكثر من حديثه عن الحزب، وإذا تحدث عن الحزب

اكتشفنا أن الحزب ليس له برنامج سوي الفكرة الطوباوية التي تحكم بتوحيد الأمة العربية ثم ماذا، لا برنامج ولا فلسفة ولا رؤية مقنعة ولذلك لم يدم هذا الأمر طويلاً فسرعان ما انصرفنا عنه وتركناه.

كانت أيام نادي الشباب الليبي أياماً حيوية مفعمة بالنشاط ومن خلال هذا النادي تعرفت بكثير كانوا شعلة في الحركة وفي النشاط، وفي هذا النادي تعرفت أيضاً بالصديق أمين مازن الذي كان يجلس أغلب المساءات أمام النادي، ويبدو أن الذي جلبه لهذا النادي هو قرب النادي من مقر المجلس التشريعي الذي يقع على بعد خطوات من النادي أو ربما لأن القهوة والشاي أرخص في هذا المكان.

كان أمين موظفاً إدارياً بالمجلس واكتشفت بأن أمين له اهتمامات أدبية وأن له بعض المحاولات الشعرية إذا كان بين الحين والحين يريني بعض تلك المحاولات ويطلب رابي فيها، وتطورت العلاقة فيما بيننا حتى أصبحت صداقة حقيقية لا تزال مستمرة الى اليوم.

كان موهوبا وذكياً وحاولت من جانبي أن أنمى لديه وعيا سياسيا في اتجاه ما، واذكر أن أول خطوة في هذا الاتجاه أن أعرته كتاب (تطور الملكية الفردية) للكاتب المصري غنيم تمهيداً لمناقشته فيما بعد وتزويده بكتب أخرى منوعة وكان أمين وطنياً يلم بقضايا الجنوب على الخصوص ومشاكل ولاية فزان ولكنه كان دائماً مراوغاً إلى حد ما في إبداء آرائه وهي الصفة التى لازمته طوال حياته وكنا نراها صفة محببة، وأمين أصبح كاتباً معروفاً فيها وتولى أمانة رابطة الأدباء لعدة سنوات.

وبعيداً عن النادي ونشاط النادي فأن مجموعة من يمكن أن نسميهم باليسار الوطني والتى كان من ابرز ورموزها في ذلك الوقت بالإضافة إلى العبد لله هناك الأستاذ فاضل المسعودي والمرحوم على ابو زقية ويوسف القويري ومحمد فاضل زيان وكامل حسن المقهور وآخرين غابت عني أسماؤهم للأسف، كان النشاط الحزبي في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات على أشده ودائماً كان تحت الأرض لكن ابرز التنظيمات التى كنا نسمع فيها هي تنظيم البعث والقوميين العرب والأخوان أما اليسار لم يكن منظماً حزبياً وأن كان متآلفا فعليا حتى أن رجال المباحث حينما اكتشفت هذه التنظيمات وقدم أعضاؤها للمحاكمات المشهورة أطلقوا عبارة تقول:

- التنظيم الحديدي الوحيد الذي لم نستطيع اكتشافه هو تنظيم الشيوعيين!.

وفي الواقع لم يكن هناك تنظيم.

صحيح أننا فكرنا في تأسيس تنظيم واجتمعنا وقررنا تشكيل تنظيم تحت اسم (الحركة الشعبية الديمقراطية) وتلك لم تكن حركة شيوعية وان كانت تستفيد من المنهج الماركسي في بعض جوانبه، ولأسباب موضوعية لم يكن ممكنا تأسيس تنظيم شيوعي في ليبيا، إذا أن المجتمع الليبي ليس مجتمعاً طبقياً بل هو مجتمع متجانس ليس فيه رأسمالية كبري ولا طبقة عمالية قادرة على الفعل حتى وأن بدأت بعض الملامح الهشة تبرز بعد اكتشاف البترول ثم أن النظرية الماركسية نفسها تقول (أن النظرية تخدم الواقع ولا تصنعه) واستمر هذا التنظيم لفترة قصيرة جداً.

على أننا في بداية التأسيس بدأنا نستقطب له بعض الأسماء وكلف كل واحد منا بالاتصال بمجموعة لإقناعها بالفكرة، وأذكر بالمناسبة أن من بين الذين اتصلت بهم انا شخصياً من الأسماء المعروفة المرحومين عبد الحميد البكوش وكامل المقهور، فأما عبد الحميد البكوش فقد ذهبت إليه في منزله بالظهرة واتفقت معه على أن نلتقي وكان بالمناقشة موضوع هام، والتقينا بالفعل في احد مقاهي مدينة طرابلس وفاتحته في أمر التنظيم لأخذ رأيه في الانضمام إليه.

فرد على عبد الحميد بقوله أنا يا أخي كامل لم اختر طريقي بعد، ولن أعطيك كلمة ثم ازلّ فيها فيما بعد، وقد تفاجئ وزيرا، وضحك ثم قال أو حتى رئيس وزراء) ولكن الكلمة الوحيدة التى أعطيك إياها هي أنني مهما تقلدت من مناصب سياسية فلن اقترب من تنظيمكم أبدا ولن أمسه بسوء، فأنا حينما تكون هناك قوى وطنية مهابة تعطي لي فرصة في الحديث مع الملك وأنا رأسي مرفوع، وإذا أردتني أن أقسم لك على هذا فسأفعل) وافترقنا وكل منا يودع الأخر باحترام واحترام على الصراحة والثقة المتبادلة.

وأما كامل المقهور الذي أيامها يدرس في فرنسا في مدينة اسمها (جرينوبل) ولا اعرف ما إذا كانت مدينة أو جامعة فقد أرسلت له رسالة اشرح له الفكرة وأهدافها وأطلب منه الانضمام الى الحزب فرد على برسالة غاضبة يحتج على مخاطبتي له بأمور سياسية في رسالة، وأذكر أنني بعث له برسالة أخرى أقول له فيها كيف تكون متوجسا لهذا الحد وأنت في بلد الحريات وحولك فرنسيون طلاب يعرفون على أبواق سياراتهم (الجزائر عربية الجزائر عربية) وانقطعت المراسلات فيما بيننا.

وطرحتُ في احد الاجتماعات فكرة مفاتحة الصديق أمين مازن في الأمر ودعوته إلى الانضمام الى الحزب فوجدت معارضة من كل الحاضرين، وحتى الآن لم أعرف الأسباب التى حملتهم على هذا الموقف وأن كنت أتصور وأرجح أنهم كانوا يتصورون أن الصديق أمين

كان مهتما بمشاكل الجنوب أكثر من اهتمامه بأية أمور أخرى وربما لأسباب لم أكن أعرفها.

وفي إحدى جلسات الأعضاء المؤسسين طرحت قضية هامة للمناقشة وهي فكرة إنشاء جبهة وطنية واحدة تضم كل هذا الشتات الحزبي المتفرق بينما قضايا الوطن واحدة ولن نختلف جميعا حول القضايا الأساسية وأن مشاكل الوطن تحتاج إلى هذا التكتل أكثر من حاجتها إلى تشتيت الجهود، وقمنا ببعض الاتصالات بجماعة البعث وجماعة القوميين العرب ولكننا وجدنا كل جماعة تتشبث برأيها وفكرتها وفلسفتها ثم أن من بينهم من قال نحن على وشك حكم البلد وعلى بعد خطوة من السيطرة على الأوضاع.

وفشلنا في تأسيس الجبهة .. ولعل الحقيقة التي لابد أن تذكر هنا هو أنهم كانوا أكثر منا نشاطاً وأدق تنظيما حتى أنهم استطاعوا أن يسيطروا على الاتحاد النقابي الذي كنا نحن من أبرز الداعين إلى تأسيسه يجعل عدد كبير من النقابات تنشق عن الاتحاد العام الذي كان يقوده السيد سالم شيتا والذي كان مواليا للغرب لاتحاد العمال العالمي الحر الذي تسيطر عليه أمريكا.

●●●

كانت ليبيا قد دخلت في مشروع البحث عن النفط فجاءت شركات كبرى للبلاد وتحصلت على امتيازات في أغلب الأراضي الليبية الصحراوية أو شبه الصحراوية، وصاحب هذا النشاط أحداث شتى من الرخاء على مستوى الوطن إذ فتحت هذه الشركات فرص العمل على مصراعيها وقضت تقريباً على البطالة الموجودة في البلاد وقضت على الفقر بشكل ما بالأجور العالية التى تدفعها وما نشأ من مشروعات متوسط لخدمات هذه الشركات وهكذا.

بدأت ليبيا تشهد تحولا ملحوظا على كل المستويات وأعزت هذه الفرص الكثيرين حتى من بين أولئك الناشطين السياسيين الذين أصبح بعضهم مهموماً أكثر من شيء آخر بالانغماس في هذه الطفرة الاقتصادية كل منهم في مجاله وبطريقته، وحدهم رموز الطليعة السياسية بدأوا كمن يغني وجناحه يرد عليه، وأخذ الإحباط يتسلل إلى نفوسهم شيئاً فشيئاً وبدأت مخططاتهم السياسية تضمر بالتدريج، وانحلت (الحركة الشعبية الديمقراطية) بقرار غير معلن وغير متفق عليه.

ملاحظة ليست في الهامش

تعودت في مرحلة الشباب أن أعير كتبا للذين أتصور أن لديهم ميلا للقراءة أو يدور بيني وبينهم حدث في مجال الثقافة، فلقد أعرت العديد من الكتب لشخص اسمه مفتاح السعداوي كان يعمل في بدالة الإذاعة وكان عنده نهم لقراءة الكتب وهو تطور بعد ذلك إلى أن عين في مرحلة ما ملحقاً في سفارتنا بأديس أبابا.

وقابلني في مرة أخرى الكاتب والرسام رضوان أبو شويشة وهو يحمل عدة اسطوانات موسيقي أجنبية وعبر لي عن رغبته في تقديم برنامج للإذاعة في هذا الاتجاه وقد لمست فيه حبا وتطلعا للمعرفة وعندما تحدثنا عن الأدب وقلت له لماذا لا تتجه للقراءة والكتابة فقال لي ربما فأعطيته قائمة بأسماء الكتب التي ستنمي موهبته وفعلاً قام بشرائها وغير اتجاهه إلى أن أصبح فيما بعد كاتبا معروفاً رساماً أيضاً..

■ **ايه دنيا!.**

يموت الزمار وصباعو بتلعب

هذا العنوان هو مثل مصري، ولقد أثرت في الروايات المصرية كثيراً حتى أنني كنت أعرف جوانب من حياة المجتمع المصري أكثر من معرفتي بجوانب من حياة المجتمع الليبي وقد كنت في بعض الرحلات أتحدث واتنا فش مع مثقفين مصريين فلا يصدقون أنني ليبي إلا بعد أن أريهم جواز سفري، ولم يكن بعضهم يصدق أن في ليبيا مثقفين مثلهم، وقد ذكرت ذلك في مقالة لي عنوانها (إلى القاهرة على ظهر جمل) وخلاصتها أنني كنت أثناء رحلة إلى القاهرة في فندق سميراميس مع عدلي فهيم المدير الفني لمجلة روز اليوسف عندما دخل علينا إحسان عبد القدوس والكاتب المسرحي على سالم ويوسف إدريس فعبرت لاحسان عن إعجابي بروايته ثم أخذني الحديث مع يوسف إدريس قصة قصيرة له في إحدى مجموعاته عنوانها(تحيا مصر).

وهي قصة تلميذ ابتدائي في السنة الأولي أو الثانية يحاول في طريق عودته من المدرسة أن يكتب على الحائط كلمة تحيا مصر بفحمه، وهو يكتب وبعيد حتى تصبح الكلمة جميلة ومقروءة، ويرى القارئ الدلالة الوطنية في هذه القصة، وفوجئني يوسف إدريس كيف تسنى لك أن تقرأ قصص وأنت ليبي، فقلت له يا سيد يوسف لو وقفت من مكانك هنا ونفحت فى ورقة وطيرتها لوصلت إلى ليبيا يا أخي نحن على حدودكم على بعد أميال فكيف تتصورون أن الإنسان الليبي لا يقرأ؟.

فاعتذر يوسف إدريس وهو يقول لم أقصد هذا سامحني.. وبعد حين انصرفوا جميعاً وبقيت أنا في ذلك المكان من فندق سميراميس ويسمى (داي اندنايت) والتقيت في نفس الليلة بالشاعر والمذيع مأمون ابو شوشة جلسنا معاً ثم عندما تأخر الليل ونحن في نقاش

وانسجام أشار علينا أحد الجرسونات إلى أن ننتقل إلى بلكونة في الفندق تطل على النيل وفعلنا ذلك وبقينا إلى أن أطل الفجر فكان أجمل منظر رأيته في حياتي.

حيث بدأت قوارب الصيادين تنتشر في النهر شاقة طريقها إلى أماكن الصيد والشمس ترسل أشعتها على سطح الماء، أنه منظر خلاب حقا..

كنت ذات مرة ذهبت أنا والصديق المرحوم بشير قاجيجي وعبد الهادى الهوني إلى القاهرة ونزلنا في شقة في منطقة الزمالك، وتعرفنا هناك على تاجر مسيحي اسمه (حشمت) وفي ليلة رأس السنة لبسنا (اللي على الجبل) كما يقولون واستعدينا لنذهب للسهر في كاباريها منطقة الهرم وعندما مررنا بمتجر حشمت ورآنا في تلك القيافة قال لنا إلى أين قلنا له لمنطقة الهرم لنسهر، فقهقه قائلاً أنتم مجانين قلنا له لماذا قال الليلة ليلة زحمة وحوادث وجرائم اعتداءات وضرب والناس ينظمون سهراتهم الخاصة بعيداً عن تلك الشوارع، ثم قال اسمعوا نحن نظمنا سهرتنا الخاصة فتفضلوا معنا لو ما عندكمش مانع فوافقنا، وذهبنا بعد قليل إلى شارع مسبيرو وكانت السهرة في شقة سيدة من عائلة الشوربجي الارستقراطية المعروفة وصاحبة مصانع الكبريت قبل التأميم وضمت السهرة خليطا من الشخصيات من الطبقات الراقية.

وأثناء حديثي مع السيدة قالت لي بأن الراقصة المعروفة (نجوى فؤاد) تسكن في الشقة التى تحتها فقلت لها لماذا لا تستدعيها للسهر معنا فردت علي وهي تكاد تشيح بوجهها:

- **عيب إحنا مش من المستوى ده!.**

ما تزال الطبقة الارستقراطية في مصر تحتفظ بأبهتها حتى بعد إجراءات التأميم والتضيق في عهد عبد الناصر، واحلوّت السهرة كما يقولون وتخلص كل الحاضرين من تحفظاتهم في الشارع وأماكن العمل وتحدث عمدة كان موجودا عن ليال الأنس وممارسة القمار في بيت عبد الحكيم عامر.

وكان فى تلك السهر شخص اسمه احمد حجازي فهمت أثناء الحديث أنه من عائلة الفقي الارستقراطية في قرية كمشيش ولما كنت في غاية الانبساط والانسجام والنشوة شبطت فيه، قلت له أنتم إذن من قتل (صلاح الشاهد) ألم أقل في بداية هذا الكلام (يموت الزمار وصباعو بتلعب) فلقد كانت قضية صلاح الشاهد ساخنة في تلك الأيام ويتهم النظام بها عائلة الفقي، وصلاح الشاهد هو ناشط سياسي ونقابي معروف وهو زوج السيدة "شاهندة مقلد" التي كانت مثله نقابية وناشطة سياسية مشهورة والقضية في حجم قضية النقابين والناشطين السياسيين في منظمات العمل: البقري وخميس مشنوق والذين صفيا في ظروف غامضة في مرحلة التحولات المصرية، فما الذي حشرني في

سياسة مصر وأوضاعها المغلقة.

السياسة التي لم أتخلص من آثارها، فانتفض الرجل وهو يقول(موش احنا اللي قتلناه دول هم المباحث اللي قتلوه وحاولوا يلبسولنا التهمة) ودافع الرجل عن عائلته طويلاً وقال احنا مش من عادتنا القتل، وبعدين لعلمك أحنا مازلنا زي ما احنا غصبا عن عبد الناصر.. ولم تنته السهرة إلا وكان أحمد حجازي يدعونا إلى مزرعته في قريته وأخذ يصر على ذلك فوافق الزميلان بشير وعبد الهادي على الدعوة ووافقت أنا ويبدو أن الرجل كان يريد أن يرينا الأبهة التي مازلوا يتمتعون بها في أوساط الفلاحين.

وذهبنا بالفعل إلى كمشيش، الرجل كان يعيش حياة ارستقراطية بالفعل فالملاعق على مائدة الطعام من الفضة والخدم والحشم مازالوا كما هم وفي جلسة ذات ليلة في أطراف المزرعة جاء كلبه وأخذ يتمسح به، محدثنا طويلاً عن سلالة الكلب وخصائصه الخ الخ، فعلقت قائلاً بتفضيلنا الليلة كلها مع الكلاب، رد علي الفور:

■ **هي صحيح الكلاب خذت مننا!!.**

كانت هذه العبارة تورية المقصود منه ما أخذته السلطة منه من أراضي وممتلكات!.

وفي ليلة أخرى أخذنا إلى زيارة عضو مجلس الشعب عن المنطقة وفي الطريق همس في أذني (دا احنا اللي زكيناه).

وعلى باب بيت عضو مجلس الشعب استقبلنا حراس مسلحون بالبنادق ما كادوا يرون احمد حجازي الا واخذوا يرحبون به تفضل يا باشا يا باشا ثم رأينا صاحب البيت النائب يهرول من بعيد سعادة الباشا وضيوفو يا مرحبا يا مرحبا، وأدخلنا إلى غرفة الاستقبال ثم بعد قليل اشعل النار وأخذ يوضب جلسة حشيش ويعطى (الجوزة) للباشا أولا ثم يدور بها علينا واحداً واحداً.

وطبعاً مازالت حالة التهور تتملكني فقلت للنائب يا أخي، أنت نائب وهو مجرد رجل عادي، فقال لي بدون أدنى خجل.

■ **سيبك أنت، الباشا باشا والفلاح فلاح.**

ثم تحدثوا عن قضية صلاح الشاهد فكانوا متفقين على أن المباحث هي التي قتلت صلاح الشاهد وحاولت أن تلفق التهمة لعائلة الفقي في محاولة لتشويه بقايا الإقطاع.

ما العمل

كانت قد تأسست في الاتحاد السوفيتي (جامعة لومومبا) وهي جامعة تقبل طلبة في أي مستوى وحتى أولئك الذين لا يحملون شهادات ثانوية فأغرى الإعلان عنها كثيرين وكنت أنا من بين أولئك الذين حلموا بالسفر إلى روسيا ودخول هذه الجامعة.

ولقد سافرت بالفعل إلى روما وقابلت الملحق الثقافي بالسفارة السوفيتية هناك كنت أمني نفسي بالحصول على موافقة وتأشيرة بالدخول إلى روسيا والانتساب إلى هذه الجامعة، كنت أحلم بأنني بمجرد مقابلة هذا الملحق سيفتح لي ذراعيه ويرجب بي، ولكن فشل هذا الحلم منذ اللحظة الأولى في تلك المقابلة فلقد كان شخصاً جهما بيروقراطيا الى أقصى الحدود وعبثا حاولت أن أقنعه بأنني وطني في بلادي وناشط سياسي ويساري ولكنه أجابني بفظاظة بأن علي أن أنجز إجراءاتي من سفارتهم في طرابلس قلت له أن مجرد دخول تلك السفارة مخاطرة حيث أنها مراقبة وما أكثر التهم التى ستلصق بمن يدخلها أو حتى يمر من قربها ولكنه كان كجلمود الصخر (مصكر رأسه) وخرجت من السفارة بعد هذا الفشل، وأنا أشتم سنسفيل الروس ودفنت خيبتي في أقرب بار صادفني في الطريق وكانت سكرة انجليزية، كما يقولون!.

لكن أيام روما على قصرها كانت جميلة على كل حال، وتصادف أني التقيت بالزميل المذيع المرحوم عيسى بلخير هناك وكان عيسى قد تعرف على شاعرة من أصل يوغسلافي اسمها (ناديا ماريا فيزش) فكونا ثلاثي جميل نتردد على مقاهي روما وملاهيها ونتسكع في شوارعها ولأن ناديا شاعرة وأنا كاتب فقد أخذت بالتدريج تميل إلى وتستلطفني وتهمل في نفس الوقت الزميل عيسى مما جعله يشعر بالغيرة.

وفي أحد المرات بينما كنا نجلس في مقهي الدوني في فيافينتو وكنا نناقش أنا وناديا

في أمور الأدب وهي تقرأ أشعارها بين الحين والآخر، انتفض عيسى ولم يلبث أن تركنا وانصرف ولم نعد يلتقي به الى أن سافر.

أخذتني ناديا الى مطعم الغرباء على بعد خطوات من فونتانا دي تريفي وهي النافورة المشهورة التى يزورها السواح ويلقون في حوضها بعض النقود المعدنية تفاؤلا بالعودة إلى روما مرة أخرى.

كان المطعم ملتقى الغرباء بالفعل ففيه يلتقي الشعراء وفنانون ورسامون ولاجئون سياسيون من مختلف أنحاء العالم وكانت تجمع بينهم ألفة غير عادية فأصبحنا نتردد على هذا المطعم باستمرار لوجود هذا الجو الثقافي الحميم، واكتشفت فيما بعد أن هؤلاء من صنع هذا المطعم بأنفسهم وصنعوا ديكوراته ولوحاته، وتعرفت هناك على شاعر الهند اسمه (لاشمايا) كان يعب من النبيذ إلى درجة الغياب عن الوعي وكان الحاضرون بالمطعم عندما يبدأون بالانصراف الواحد بعد الأخر يطلقون عبارة (انتسيوني بيرلاشمايا) أي انتبهوا إلى لاشمايا ولا تتركوه وحيداً عندما يشتد به السكر، وكانت لهذا الخليط عادة جميلة أن يلتقون مرة في الأسبوع في بيت أحدهم ويشرعون يقرأون نصوصهم من قصائد الشعر والقصص القصيرة ويتبادلون حولها الآراء، وكانوا يطلبون رأي بإصرار ولا يقبلون اعتذاري بسبب لغتي الايطالية (المكسرة) ويساعدونني في تصحيح الكلمات ونطقها.

أذكر ذات أمسية من هذه الأمسيات بحث عن كلمة نقد فلم أتوفق بها فقلت لهم، بلغة ايطالية مكسرة لكنها مفهومة الذي يحلل النص، بمعني ذلك الذي يقول جيد أو غير جيد فنطقوا جميعا في صوت واحد تقريبا او (كريتكا) أي نقد، وهكذا، وذات مرة دعانا رسام فنزويلي إلى بيته لنرى مرسمه.

وسألني وأنا أمام إحدى لوحاته وهي عبارة عن ديك يجلس فوق كرسي فقلت له في الحق لا أعرف لماذا ترمز اللوحة، قال لي الكرسي هو نظام الحكم في بلادي والديك علاقة الفجر بمعنى سيصحو الشعب ويجلس على كرسي الحكم.

وقبل أن ننصرف أهداني احدي لوحاته وهي عبارة عن يد تشر منها قطرات عرق وقال لي هذه يدي، وكان ذلك الفنان الفنزويلي شاعراً أيضاً وبينما كنا مرة أخرى في بيت لاشمايا الهندي وبدأ هو يقرأ قصائده لاحظت فعلا أن يده تنزل بالعرق وهو تعبير عن شدة الانفعال كما لاحظت ذلك من تهدج صوته أيضاً، وبالعودة إلى ذكر لاشمايا الشاعر الهندي فقد ارتني ناديا مجلة ايطالية نقدية اسمها (فياروما) وفيها مقالة بعنوان روما

تفتخر بأن لاشمايا يعيش وسطها، كانوا جميعا فارين من اضطهاد سياسي وملاحقات في بلدانهم..

وعندما تركت روما ظلت ناديا تراسلني باستمرار، ومن غرائب الصدف أن إحدى رسائلها وقعت في يد كامل عريبي سكرتير الغرفة التجارية أيامها.

ربما بسبب تشابه الأسماء وعندما فتح الرسالة وقرأها اكتشف أنها ليست له وانما هي لكامل عراب، ولما كان عريبي صديقا لأخي عمر فسلمها له على أساس أن يسلمها لي، ويبدو أن عمر حكى للعائلة قصة هذه الرسالة وما فيها من عواطف مشبوبة وصل الخبر إلى والدتي رحمها الله فأقامت مناحة وهي تقول (كامل بياخذ رومية حيه علي) وكانت (غبارة سودة) كما يقول الطرابلسيون انتهت العلاقة بالتدريج بيني وبين ناديا ولست ادري الأن ما أذا كانت ما تزال حية أما غادرت هذه الدنيا.

■ ايه .. دنيا!!.

زواج متأخر

تزوجت في سن متأخرة.

تزوجت وعمري (33) وكان ذلك في عام 1968م قبل قيام حركة القذافي بشهور علق أحد الأصدقاء بخيث قائلاً كل الحوادث البارزة في حياتك ترتبط بكارثة (ولدت عام 1935م) عام الزلازل الكبرى وتزوجت وبعد شهور قليلة فعل القذافي ما فعل وذهبت الى الحج في باخرة وبعدها قامت حرب 67م فلم تعد البواخر إلى ليبيا أنت مين ياعم؟

ولم أكن أريد أن أتزوج في الأساس في السن التي يتزوج فيها الشباب في بلادنا رغم أن والدتي كانت تلح دائماً وتقول أريد أن أرى أحفادي قبل أن أموت.

كنت أستبعد فكرة الزواج لأنني دخلت غمار السياسة والذي يدخل غمار السياسة معرض للسجن وأحياناً إلى ما هو أكبر وكنت أقول في نفسي لماذا أجني على زوجة وأولاد إذا تعرضت لمثل هذا المكروه.

ولكن كل المشاريع والمحاولات السياسية باءت بالفشل فكان لابد أن تعود فكرة الزواج تشاغب من جديد، كنت تقليدياً جداً في النظر إلى هذا الموضوع وهكذا تحدث في هذا الأمر مع زميلتنا في الإذاعة السيدة الفاضلة عويشة الخريف فقالت لي بأنها على استعداد للوقوف إلى جانبي في تحقيق هذه الرغبة إذا كانت جادة.

فاقترحت عليها اسم عائلة من عائلات طرابلس المعروفة والتى تربطها صلة قرابة مع عمي محمد احمد عراب رحمه الله وكنت اعرف أن لهم بنت في سن الزواج وكنت أراها من بعيد فوافقت السيدة عويشة على الفور فقد كان اسم العائلة معروفا وسمعتها حميدة في أوساط العائلات الطرابلسية.

أمي كانت تريدني أن أتزوج من إحدى بنات أخوالي بالرجبان ولكنني لم أوافق على فكرتها فرضيت المسكينة على مضض وذهبت السيدة عويشة تجس النبض لدى تلك العائلة وعادت لتقول أن تلك الفتاة مخطوبة.

وظللنا نقلب الموضوع من عدة جوانب إلى أن فاجأتني بالقول لماذا لا تتزوج ابنة احمد فريد المذيع المشهور وكان أيامها يعمل في إذاعة لندن، والسيدة عويشة زوجته الثانية وهي والبنت من زوجته الأولى منى المجراب ثم لم تلبث أن أخرجت لى صورتها من حقيبة يدها وظلت السيدة تثني على تربيتها وعلى أخلاقها وسيرتها الحميدة، وعلى الرغم من المفاجأة إلا أنني وافقت على الفكرة فأنا أثق في رأي السيدة عويشة كما أنها هي من جانبها تعرفني جيداً باعتبارنا زملاء عمل لسنوات.

أما والد البنت زميلنا أحمد فريد فهو صديقي ومن العناصر المميزة في الأوساط الإذاعية وعمل عدة مرات في إذاعة لندن لكفاءته المهنية وهكذا تمت الخطبة، قال لى أحمد فريد مازحاً بعد ذلك: هكذا تطعنني من الخلف قلت له منزعجا كيف هذا قال لي بعد سنة ستجعلني جداً فاشعر بالشيخوخة المبكرة وأهرم، وضحكنا معا، وقال أنه لابد أن يستشير جده ووالده وكان جده رجلاً معمراً ومن أعيان مدينة العجيلات.

فذهبنا سوياً أنا وأحمد إلى أهله في العجيلات وقابلنا جده ووالده، وفي أثناء سهرنا في بيتهم في ذلك اليوم حكى لي الجد كيف حمي عمي المرحوم محمد احمد عراب من محاولة الاعتداء عليه وقتله من قبل الأهالي عند خروج الطليان ودخول الانجليز.

حيث كان عمي مدير ناحية في تلك الجهات ويبدو أن بعضهم أراد أن ينتقم منه لسبب من الأسباب فاستغل فوضي الحرب وشرع في الإقدام على تنفيذ ذلك الاعتداء لكن عائلة الغالي أهل احمد فريد وعائلة الدالي وقفوا ضد هذه المحاولة الشنيعة وانقدوه واستضافوه في بيوتهم إلى أن هدأت الزوبعة وكان هذا أحد الأسباب التي زكت أحمد فريد وباركت موافقته على تزويجي ابنته.

وفي اليوم التالي عدنا إلى طرابلس وشرعت أنا في استكمال بقية إجراءات الزواج المعروفة.

وذهبت والدتي وعدد من نساء أقاربي إلى بيت أحمد فريد لاستكمال تقاليد الخطبة الأخرى وهكذا تزوجت أنا ولم أرى زوجتي ولو للحظة إلا ليلة الدخلة.

الآن وأنا أكتب هذه الورقات يكون قد مر على زواجنا ما يقرب من نصف قرن، ولقد

كانت زوجتي نعم الرفيقة لي تحملت معي الحلو والمر وكانت دائماً تشجعني على تجاوز الخيبات التي مررت بها في حياتي بعد فشل المشاريع السياسية وتعرضي للمحاكمة في عهد القذافي والاعتقال أيضاً.

لقد أنجبنا أربعة بنات وولدين فقامت بتربية أبنائنا أحسن تربية والحمد لله وأستطيع أن أقول أننا بنينا معا عشاً سعيداً رغم كل شيء، لقد تحملت كثيراً ولكنها كانت دائماً على قدر المسؤولية وأهلا لواجباتها كزوجة وأم..

شهادة الوضع العائلي أيضاً للقارئ

منذ عام 1969م بعد زواجي بعام بدأ تنهاطل كل الأبناء، ما شاء الله تبارك الله وبدأ مع تهاطلهم الأعباء تزيد ولكن الحمد لله دائماً كان هناك مورد غير المرتب كان الإنتاج الإذاعي رافدا يعول عليه.

أنجبنا أربع بنات وثلاثة أولاد أحدهم توفاه الله وهو صغير لم يبلغ الثالثة عندما وقع من الدور الثاني في العمارة التي اسكنها فى شارع ابن سينا المتفرع من شارع جمال عبد الناصر أما الآخرون فهم على التوالي:

هند، وهناء، هاجر، هيام، محمد، وطه.

وجميعهم بخير ونعمة والحمد لله، عندما يعرف بعض الأصدقاء أن لي إبناً اسمه طه يبادرون على الفور قائلين طبعاً كاتب لابد أن يسمي أحد أبنائه باسم كاتب ويشيرون إلى طه حسين والحقيقة ليست كذلك أبداً فهو سمي طه ابن عبد الله.. الرسول محمد عليه الصلاة والسلام فعندما ذهبت إلى السعودية فى عام 1985م كانت زوجتي حامل فلما زرت قبر الرسول فى المدينة وصليت عند روضته الشريفة ثم دعوت قائلاً: إذا كان ولداً فهو سمّيك يا رسول اللّه ولذلك عندما ولد وكان لي قبلها اسم محمد فقد سميت هذا طه، أما الهاءات التى تبدأ بها أسماء البنات فهي الهاءات الأربعة في اللغة الانجليزية:

Head, Hand, Heart, Honesty

وهذه فذلكة، ومن لم تعجبه الفذلكة فليشرب من البحر!.

الخروج من الإذاعة

خرجت من الإذاعة في عام 1970م أو بتعبير أصح أخرجت منها، ومن غرائب الأمور أنني أخرجت منها وكان مديرها من أعز أصدقائي وهو الكاتب يوسف الشريف، كنت أعرف أن هناك ضغوطاً من طرف ما يلح على نقلي من الإذاعة وهو أحد الضباط الذين كانوا يسمون أنفسهم بالضباط الوحدويين الأحرار.

وقد نقلني الصديق يوسف الشريف إلى الخدمة المدنية برسالة هي أغرب الرسائل الإدارية التي رأيتها في حياتي، فلقد كانت الرسالة تمجيدا راقيا لي وقد حررها بنفسه بأسلوبه.وأذكر أنها كانت تقول ما نصه تقريباً (لأتخذ هذا القرار بالنقل إلى الخدمة العامة بألم شديد فأتت أحد الكفاءات الكبيرة والأقلام المميزة وأحد العناصر الذين قامت على أكتافهم هذه الإذاعة الخ الخ.

وعندما استلمت الرسالة أدركت أن الأمر أكبر من الإذاعة ومن فيها، فتقبلت هذا القرار بصدر رحب، وإلى اليوم لم يذكر لي الصديق يوسف اسم الضابط الذي كان وراء هذا القرار ولكنه كان يكتفي بالقول بأن المعني كان يتصل به يومياً ويسأله ماذا فعلت في موضوع كامل عراب ولماذا لم تنقله إلى الخدمة العامة حتى الآن.

يوسف كان كتوما دائماً وحساساً دائماً ولذلك لم يطل به المقام ولم يطب له كمدير للإذاعة إذ سرعان ما تركها بسبب تدخلات الضباط في العمل وبسبب التوجيهات التى لم يكن يرتاح لها..

والإحالة على الخدمة المدنية تعني ما كان يطلق عليه (الاستيداع) وهو بطالة مقنعة ولكن بمرتب إلى أن يجد الموظف مكاناً إدارياً يقبله أو يتم الاستغناء عن خدماته بعد فترة معينة.

وتصادف أن كان رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية في ذلك الوقت هو المرحوم الدكتور عبد اللطيف الكيخيا، وبيني وبين الدكتور الكيخيا علاقة قديمة منذ الأيام التي كنا نسعى فيها لتكوين اتحاد عمالي مواز لاتحاد سالم شيتا حيث كنا نجتمع مع الدكتور مع عدد من الأصدقاء الآخرين وندعوه إلى أن يحرض عمال النفط على تكوين نقابة لهم لا تكون تابعة للاتحاد العام المعروف.

وما أن سمع بموضوع إحالتي للخدمة المدنية حتى استدعاني وتشاور معي في أمر العمل بالغرفة فوافقت وهكذا تمت إجراءات نقلي من الخدمة العامة إلى الغرفة وعينت على الفور سكرتيراً عاماً لها، ولقد أعطاني الدكتور صلاحيات مطلقة في عمل الغرفة وفوضني بكل الاختصاصات.

كانت الغرفة تابعة شكلياً لوزير الاقتصاد كانت حركة القذافي قد قامت ولم يلبث الوضع الجديد أن شرع في تأسيس القطاع العام وكنا نتصور الحق يقال أن هذه الخطوة محفوفة بكثير من المخاطر.

إذ ليست هناك كوادر حقيقية لهذا القطاع وأن ما ستقوم به الدولة مجرد مغامرة على غرار تجربة (الاشتراكية العربية الفاشلة) ولكن لا مرد لقرار السيد المستبد.

أذكر أن أحد أصحاب شركة إيطالية كبيرة يتردد عليَّ في المكتب وما أن يشرب قهوته حتى يأخذ في القول بإلحاح لا تفعلوا ذلك استفيدوا من تجربة الدول العربية الاشتراكية الفاشلة السوق الليبي من أهم الأسواق في منطقة الشرق الأوسط ويقول كل الشركات الايطالية تتعامل بثقة كبيرة فى هذا السوق والتاجر الليبي تلبي جميع طلباته بمجرد اتصال تلفوني وبدون دفع مقدم فحرام عليكم أن تهدموا استقرار هذه السوق.

كان المسكين يتصور أن الغرفة التجارية شريكة فاعلة في رسم سياسة الاقتصاد ولم يكن يدرك أنها مجرد مؤسسة شكلية في عهد حكم العسكر..

أذكر أن وزير الاقتصاد طلب منا أن نجمع تجار اللحوم في طرابلس ونطرح عليه مشروع تأسيس شركة اللحوم والمواشي بالمشاركة بين القطاع الخاص والقطاع العام.

فاستدعيت أصحاب الشركات الخاصة باستيراد اللحوم والمواشي لاجتماع عاجل في الغرفة وطرحت عليهم الموضوع وقلت لهم أن رأسمال الشركة سيكون مناصفة بينكم وبين الدولة وعليكم الآن أن تجمعوا نصف رأس المال شراكة بينكم، وأنتم تعرفون حجم نشاط كل منكم وحجم رأسماله فوزعوا الحصص بالطريقة التي ترونها وفعلوا ذلك في نفس

الاجتماع تعهد كل منهم بمبلغ من المال إلى أن غطوا حصة القطاع الخاص بالكامل.

وعندما انفض الاجتماع وشرعوا في الخروج اقترب مني الأخ أحمد سعد صاحب الثلاجات الكبيرة والتاجر المعروف فى سوق اللحوم والمواشئ اقترب مني وهو يضحك فسألته علام يضحك فسألني أين مكتبي.

فأشرت إلى المكتب فقال دعنا نشرب قهوة معاً دخلنا المكتب وطلبنا قهوة وأخذ يقول لي هل تعتقد أن هذه الشركة ستنجح قلت له ولماذا.

ضحك من جديد وهو يقول أنا عندما كنت استورد المواشي من بلغاريا مثلاً (وكان البلغاري يملأ السوق في ذلك الوقت) كنت أذهب بنفسي إلى هناك وأتصل بمربي المواشي وأعيش بينهم لأيام رغم الصقيع والثلوج وكنت ألبس استيوالي (حذاء طويل الرقبة) وأدخل بنفسي إلى الحضائر وأعلمهم كيف يعزلون مواليد الماشية في مكان خاص وأعلمهم أنواع الأعلاف التى سيطعمونها بها حتى تنمو بطريقة معينة ويكون لحمها فيما بعد قريباً من طعم اللحم الليبي الوطني كانت أياما من الشتاء والتعب فهل تتصور أن موظفاً عاماً في الشركة المزعومة يمكن أن يقوم بهذه الأعمال؟.

قلت ولماذا شاركت في رأسمال الشركة ووافقت على إنشائها ضحك للمرة الثالثة وهو يقول يا صديقي أنهم سيأخذون منا قسمة هذه المشاركة بالرضى أو بالقوة فاردت بل أردنا كلنا نحن التجار أن نوفر على نفسنا المشاكل.

وأتصل ذات مرة تاجر معروف في سوق الملابس نسيت اسمه والله، وقال لي هؤلاء الموظفون العامون الذين يستوردون الملابس للتجار إما أنهم أغبياء أو أنهم مرتشون قلت لم كيف قال لي: شوف يا سيدي لقد تعرف بهم أحد السماسرة وأحاط بهم هو وزوجته وأخذوا (يكرمونهم) يوفرون لهم اقامة جيدة فيها ما لذ وطاب ويرتبون لهم الليالي الماجنة ويتولون نيابة عنهم شراء طلبياتهم من الملابس، أتعرف، قال لي أن بعض تلك الملابس مستعملة هل تصدق هذه الملابس المستعملة تخرج من المغسلة كأنها جديدة وملفوفة في السولوفان ومطوية جيداً، أقسم لك أنني أكتشفت ذات مرة أن أحد القمصان التي اشتريتها من الشركة العامة وعندما قلبته وجدت أثار عرق البيطان لا تزال بقاياه عالقة بالقميص.. لكن الغرفة لم يكن في استطاعتها عمل أي شيء.

نشأ تعاون بيننا وبين الغرفة التجارية في روما في أعطائها معلومات كاملة عن التجار الايطاليين المسجلين في الغرفة والذين رحلوا بعد 7 أكتوبر وذلك حتى يمنحوا رخصاً

مماثلة في بلادهم وتمت عن طريقنا تصفية الكثير من الديون التي في ذمة التجار الليبيين للشركات الأجنبية لكن بيانات وسجلات الغرفة التجارية ظلت سليمة محفوظة كما.

لقد اعتقلت في سنة 1973م وفي تلك الاعتقالات المشؤومة اعتقل الدكتور عبد اللطيف أيضاً ومن المصادفات أننا كنا معابين آخرين في عنبر واحد لكن اعتقال الدكتور لم يدم طويلاً فقد أفرج عنه قبلنا بعدة شهور وبعد الاعتقال عدت إلى الغرفة.

كان الصديق بشير القنين الموظف بالغرفة قد كلف أن يقوم بدلاً مني بمهمة السكرتير العام فأدار الغرفة كما ينبغي بل أنه أحدث تطويرات مهمة في أرشيفها.

كنا استبدلنا مقر الغرفة من مكانها القديم في وسط المدينة وهو عبارة عن شقة صغيرة واخترنا فيلا مصطفى بن حليم المقابلة لمستشفي طرابلس والتي تتخدها السفارة الإيرانية الآن مقرا، وكان هناك حارس معين على الأملاك العامة وأملاك مسؤولي العهد الملكي الغائبين واعتقد أنه كان يدعى (أبو شحمة) وعند التحري أتضح أنه لم تكن هناك أية التزامات على السيدين حليم الغائب لدى المصارف فاتفقنا على قيمة معينة للإيجار وكان الإيجار يودع باسمه شهريا لدى ذلك الحارس.

عدت إلى عملي بعد الخروج من السجن فوجدت هناك دعوة لحضور مؤتمر عام لمدراء الغرف التجارية يعقد في بيروت وكان الصديق بشير القنين يستعد للذهاب لهذا المؤتمر فطلبت منه أن أذهب أنا بدلاً عنه، لقد كنت في حاجة إلى بعض الراحة بعد الخروج من السجن فوافق بشير على الفور فذهبت بالفعل، وحضرت الاجتماع، وأذكر أنه رغم النقمة على النظام إلا أن النظام نظام والوطن وطن.

فعندما أعطاني مندوب الأمم المتحدة الكلمة ألقيت خطبة عصماء اندد فيها بدور الأمم المتحدة في حماية البلدان النامية من جشع الشركات الكبرى أثناء محاولة بناء اقتصادها، وقلت له ماذا فعلت الأمم المتحدة لعبد الناصر الذي جلب كثيراً من المصانع فأتضح فيما بعد أنها مصانع مغشوشة وأنها تحولت الآن إلى مجرد أكوام من الخردة، ولم يغضب مندوب الأمم المتحدة بل قال لي نحن مدعوون إلى زيارة ليبيا في مؤتمر لمناقشة كل هذه الأمور.

فخجلت من نفسي لأن أغلبنا يذهب لحضور مؤتمر من غير أن يكون ملماً بالمعلومات الضرورية في بلده.

عدت من بيروت عن طريق روما ومنها إلى طرابلس..

من أيام الغرفة

كنت وأنا سكرتير عام للغرفة التجارية الزراعية والصناعية لطرابلس قد سافرت إلى الخارج من مهمتين واحدة كانت لبيروت حضور اجتماع مندوب الأمم المتحدة بمدراء الغرف التجارية في الوطن العربي -ذكرتها في الصفحات السابقة - أما الأخرى فكانت لموريتانيا مع عدد من تجار اللحوم كان بينهم مختار الجندي وأخوه أحمد الجندي وهما من تجار اللحوم..

إلى نواكشوط في موريتانيا كانت الرحلة عن طريق باريس والعودة كذلك وفي نواكشوط استقبلنا في المطار أحمد ولدداده شقيق المختار ولددادة رئيس الدولة وهو رئيس الغرفة التجارية هناك، وذهبنا إلى الفندق الذي تم حجزه لنا كوفد تجاري شبه رسمي، وفي اليوم التالي نظم لنا رئيس الغرفة اجتماعا مع أصحاب النشاط التجاري المماثل، وعندما عقد الاجتماع ألقيت كلمة (علق عليها أحد أعضاء الوفد الليبي بالقول أنك (ملسن) بمعنى صاحب لسان وبلاغة) وعندما أراد ولددادة أن يرد عليَّ بكلمة فوجئت بأنه أحضر مترجماً ليترجم الكلمة التي ألقيتها باللهجة الموريتانية فقلت له بعد الاجتماع يا أخي نحن نفهم كلامكم على الرغم من اللهجة فرد علي بالقول لم أكن أعرف ذلك، وأكتشفت فيما بعد عندما جلست في مقهى الفندق أو البار على الأصح وطلبت زجاجة من البيرا أن الوحيد فى موريتانيا كلها الذي يتعاطي البيرة هو شقيق الرئيس الذي اجتمعنا معه في الصباح.

أما الخمور التي في بار الفندق فهي للأجانب فقط، لكن شخصاً آخر كان يتعاطى الكحول فى نواكشوط هو الليبي الصديق محمد أيوب الذي كان هناك فى أطار لجنة المغرب العربي للاقتصاد الذي كان في استقبالنا في المطار من بين من استقبلونا.

وفي الليل نظم لنا السيد ولد دادة حفلة عشاء فذهبنا إليها بالملابس الرسمية للمناسبات وجلسنا نتناول العشاء وكنت أنا والداعي للحفلة نجلس على رأس الطاولة ومن حين إلى

آخر كنت أنظر إلى الجانب الليبي من الضيوف فاكتشف أن السيد مختار الجندي يشير إلى بأصبعه فلا أهتم تكرر ذلك أكثر من ثلاث مرات ثم انفجر السيد الجندي يلقي ما في بطنه من أكل على الطاولة وصارت حوسه هناك وهو يكاد يغمى عليه.

وتصادف أن كان طبيب الرئيس مدعواً فأخذ يحمل الجندي إلى جانب وأخذ يفحصه وعندما أفاق وسألته قال لي أشرت إليك كثيراً لاستأذن في الذهاب إلى الحمام فلم تهتم بي، قلت له ولماذا لم تخرج وأنت على وشك القيء فسكت وهو يقول (هذا اللي صار) واستبد به الخجل فأخذنا نطيب خاطره إلا أن أغلبنا لم يعد لمائدة العشاء بعد ذلك.

وقمنا برحلات إلى نواديبو وبعض مدن موريتانيا ولكننا لم نجد ما يستحق أن نستورده من لحوم حيث كان الجفاف قد أصاب المنطقة لسنوات متتالية وأغلب المواشي هناك هالكة..

كانت موريتانيا فقيرة في ذلك الوقت وليس بها سوى شركة أسبانية تصنع الأسماك وتصدرها إلى الخارج أو شركة أجنبية أخرى تقوم بتحلية المياه..

وفي موريتانيا كان المركز الثقافي الوحيد هناك كان المركز الثقافي التابع للصين الشعبية وكان له نشاط كبير في المنطقة حتى أنني وجدت من يحفظ كتاب ماوتس تونج (الديمقراطية الجديدة) عن ظهر قلب، والموريتانيون حفاظ وشعراء وهم مازالوا على طبيعتهم لم يتلوثوا بسلبيات الحضارة الغربية.

والسيد مختار الجندي رجل ظريف فهو من أغنياء طرابلس وصاحب أسواق الجندي المعروفة بين الظهرة وفشلوم، ورغم ذلك عندما عدنا عن طريق باريس وأخذنا نبحث عن فندق نقضي فيه ليلة إلا أنه كلما كنا نتوقف عند فندق كان يقول لنا لا هذا غاليا وظل الحال كذلك إلى أن كادت الليلة تنقضي ثم قلت له غاضباً يا سيدي مختار ما سنخسره في أجرة التاكسي يساوي بدل أقامة ليلتين في الفندق ونزلنا عند أول فندق بعدها.

الحركة الانقلابية

يكذب على نفسه من يقول أنه لم يكن مستبشراً بانقلاب 1969/9/1 الذي سمي فيما بعد ثورة.

ربما هي عدوى ما كان يحدث في المنطقة من انقلابات ولم يكن تحليل الأمور صائباً دائماً، لقد كنت إبان تلك الحركة أسكن في شارع بن عاشور وكان يسكن في الشقة التي فوق شقتي تماماً المناضل العمالي مفتاح الدروقي، كانت الأجواء مهيئة لأي حركة انقلابية فالملك قد بلغ أردل العمر وبدأ بوادر الفساد تطفو على السطح وبدأ الناس يضجون بسبب تلك الانحرافات وكان الملك الذي لم يكن له أولاد قد عين بمرسوم ابن أخيه الحسن الرضا ولياً للعهد، والحسن الرضا لم يكن مقبولاً بأي وجه من الوجوه فهو شخصية مسطحة خالية من أدني بريق أو من أي هيبة كالتي يتمتع بها الملك، وصحيح أن الملك كان زاهداً في الحكم.

حدثني أحد الشيوخ الذي كان مطلعا على بواطن الأمور قال أعين بعض شيوخ برقة وأعيانها كانوا متعودين إذا أرادوا السفر خارج البلاد يذهبون إلى الملك ويجلسون عنده لبعض الوقت ثم يستأذننه في السفر وهي عادة بروتوكولية حضارية، وذات مرة قال محدثي ذهب عدد منهم لزيارة الملك للاستئذان فداعهم إلى طاسة شاهي خضراء، جلسوا معه في الصالون وكان المرحوم فتحي الخوجة رئيس التشريفات موجود يقف على بعد خطوات من الحاضرين منتظراً أوامر الملك.

وما أن ارتاح الشيوخ حتى طلب الملك من فتحي أن يحضر له رسالة موجودة فوق الطاولة في مظروف أزرق فذهب الخوجة وأحضر الرسالة وقبل أن يسلمها الملك قال له الملك افتحها وأقراها على مسامع الجماعة وعندما فتح الرسالة وقرأ سطورها الأولى قال وهو يتصبب عرقا:

● **يا مولاي!.**

فرد الملك إقرأ بصوت عالي ولا تترك سطراً، أخذ فتحي الخوجة يقرأ الرسالة وهو يرتجف فاذا بها لمواطن يقول فيها للملك (يا شيبة النحس ياللي ضعيتنا ياللى كليت فلوسنا) إلى أخر هذه الشتائم المقدمة من مواطن مجهول.

كان الشيوخ يرددون لا حول الله لا حول الله، فيشير لهم الملك بالسكوت والمتابعة إلى أن انتهت الرسالة وعندها طلب الملك من الحاضرين أن يمدوا أيديهم للفاتحة.

وأخذ الملك يدعو اللهم إذا كان ما قاله هذا المواطن صحيحاً وهو ما يقوله الليبيون فخذ فيهم الحق ياربي وسلط عليهم من لا يعرفك ولا يخشاك).

وقال الحاضرون (خذيتنا يا مولاي) قالوا ذلك لأن دعوة الملك الصالحة مستجابة، فهل هي دعوة الملك الراحل استجاب لها الله فسلط علينا القذافى من يدري.

وكان بعض الليبيين من ناحية يقولون (إبليس ولا إدريس) وهم لا يعرفون أن الملك يملك ولا يحكم حسب نص الدستور.

ويبدو أن الملك كان من رجال الله فعلاً فذات مرة كان الأستاذ احمد نجم يريد الذهاب الى الجغبوب وكان قرر أن يمر على الملك ليسلم عليه ويستأذن في الرحلة شرع يكتب قصيدة شعرية في الإمام السنوسي ولكنه لم يكملها وعندما قابل الملك ومكث عنده لبعض الوقت ثم أراد أن يسلم وينصرف قال له الملك (كمل القصيدة يا أحمد كمّل) فبهتَ السيد احمد ووقف مشدوهاً فعاجله الملك بالفول أنها رؤية يا احمد مجرد حلم..

وذات مرة كنت في تركيا لجمع بعض الوثائق التى تتعلق بالتاريخ الليبي فكلفت لي السفارة مرافقاً مترجماً من أصول ليبية وفي أحد الأيام قال لي كيف تلقى الملك خبر الانقلاب قال أنه في ذلك اليوم أتى خبر طائر بأن ضباط الجيش استولوا على الحكم في ليبيا قال كنت أنا بالفندق المخصص لإقامة الملك عندما ورد الخبر وتلقاه المرافقون الآخرون فحدثت ضجة بين رجال التشريفات الذين كانوا مرافقين وقرروا فوراً استدعاء الملكة فاطمة التى كانت في ذلك الصباح قد خرجت إلى السوق هي والشلحي والسفير طاهر الفاراملي وآخرين، ليبلغوها الخبر ويتدبروا كيف يبلغونه للملك.

وعندما حضرت الملكة ومن كان معها وأبلغوها الخبر قالت للسفير والشلحي أنا من سأبلغ الملك بطريقتي الخاصة، وصعدت إليه في جناحه.

وعادت بعد حوالي نصف ساعة فقالت لهم وهم في حالة الارتباك.

● الملك يقول لكم إذا كان هؤلاء الضباط يريدون للبلد خيرا فربنا يوفقهم أما أنا فابعثوا لهم وأبلغوهم بأنني أريد قضاء بقية عمري في الجغبوب بعيداً عن كل شئ، وقالت الملك يقول لكم أنا برئ من أي شخص منكم يقوم بتصرف اخر..

ويبدو أن الملك كان صالحا فعلا فعقب الانقلاب وفى أيامه الأولى حاول الخارج على القانون المعروف مفتاح الهندياني أن يركب الموجة وقام ببعض الجولات في أنحاء مختلفة من برقة وذات مرة دخل إلى أحد مراكز الشرطة فرأى صورة الملك مازالت معلقة ويبدو أن ضباط المركز غفلوا عنها فأرعن وأزبد وهو يشتم ثم انتزع الصورة من مكانها وأخذ يدوسها بقدميه حتى تفتت ثم خرج وهو ما يزال يطلق الشتائم.

وبعد أن توارى عن الأرض تناول الضابط الذي كان واقفاً يتابع المشهد صورة الملك ونفض عنها شظايا الزجاج، وأخذ يخاطبه:

● توا عاد كأنك رجل بركة نبو نشوفو بركتك.

تقول الرواية ما كاد مفتاح الهندياني يقطع بعض الكيلومترات حتى اصطدم بسيارته في شجرة ومات على الفور.

■ روايات.. لعله كان صاحب بركة فعلاً.

● ● ●

طرق بأبى في الصباح الباكر المناضل العمالي مفتاح الدروقي وعندما فتحت الباب بادرني بالقول: انقلاب انقلاب في البلاد، ولا أدري كيف خرجت من فمى عبارة (داروها الأميركان) ويبدو أنه لم يسمعني وانصرف وهو في حالة من الانفعال والفرح المفاجئ.

أما أنا فقد أيقظت زوجتي وتناولت فنجانا من القهوة وخرجت متوجها للإذاعة، وكانت حالة الطوارئ قد أعلنت ورجال الجيش يملأون الشوارع وقد كدت اقطع مسافة قصيرة بالسيارة في اتجاه الإذاعة حتى استوقفتني دورية من الجيش في سيارة لاندروفر وسألني أحد الراكبين إلى أين ألم تسمع بحالة الطوارئ، قلت له أنا مذيع بالإذاعة وأعتقد أن مكاني الآن هناك، قال لي اتبعني فسأرافقك إلى الإذاعة ولا تبتعد عني لأنك إذا ابتعدت فستعرض نفسك لإطلاق النار.. وكان الأمر كذلك تم اكتشفت فيما بعد أن الذي تحدث معي من سيارة الجيش كان المرحوم عمر المحيشي.

● ● ●

عمر المحيشى الذي كان يمثل الادعاء في محكمة الشعب التى وقفت أمامها متهما بتضليل الرأي!!.

كانت محاكمة عجيبة غريبة جرت فيها محاكمة أبرز الإعلاميين سواء كانوا يعملون في صحف أو إذاعة ولكن عندما دروسوا استجوابي وأنا في قفص الاتهام لم يوجه إلى أية أسئلة وساقَ الاتهامات فى وجه الآخرين في مرافعته وعندما وصل في اسمي أكتفى بالقول:

● **أما المتهم كامل عراب فأنا أترك أمره للمحكمة الموقرة.**

ولم تكن المحكمة موقرة ولا من يحزنون فهي مكونة من عدد من الضباط الذين لا يفقهون في القانون شيئاً وإنما يسوقون التهم جزافا ويطالبون بأقصى العقوبات وحده رئيس المحكمة الرائد بشير هوادي وجه إلى عدد من الأسئلة أجبت عليها بانفعال شديد وكان صوتي يعلو من حين إلى آخر ولم يدم ذلك طويلاً ثم رفعت الجلسة للاستراحة، وعند خروجنا للاستراحة في غرفة مجاورة تصادف أن التقيت في ردهة المبني برئيس المحكمة بشير هوادي وهو يرتدي الملابس العسكرية فحييته رد علي بالقول:

● **كنت رائعاً يا كامل..**

توقعت أن الحكم سيكون البراءة وفعلاً فقد برأتني محكمة الشعب من تهمة تضليل الرأي..

لقد تطوع المحامون بدون مقابل للدفاع عن المتهمين ولقد تطوع للترافع عني المحامي المرحوم عبد الرحمن الجنزوري وهو من أكفأ المحامين الليبيين، كان يتمتع بالكفاءة والذكاء أيضاً، فلقد ترك دفاعه عني آخر دفاع في جلسات المحكمة.

وعندما سألته فيما بعد لماذا فعل ذلك أجابني حتى تكون المرافعة آخر شيء يسمعه رئيس المحكمة فيضل صداها في أذنه وهو يقرر الأحكام..

لقد توقف المرحوم عبد الرحمن طويلاً أمام تهمة تضليل الرأي العام وظل يتساءل باستغراب وهو يجول في قاعة المحكمة:

● **كامل عراب يضلل الرأي العام، كامل عراب يضلل الرأي، يا للعجب.**

وأخذ يقرأ مقتطفات من بعض مقالاتي المنشورة قبل حركة 9/1.

●●●

ولم أعرف أن البراءة في تلك المحاكمة كانت تأجيلاً لسجن بدون محاكمة في عام 1973م كانت المحاكمة علنية ومنقولة عبر التلفزيون ولقد استقطبت الناس جميعاً فتابعوا جلساتها باهتمام كبير، كنا جميعا تقريباً مفرج عنا.

في الصباح في المحكمة وفي المساء نتجول في شوارع المدينة ولذلك تعاطف معنا الناس وما أكثر ما كنا نسمع كلمات التشجيع والإطراء من أفواه الناس: هاه شدوا حيلكم، هاه كونوا رجالة الخ الخ.

فالناس في ليبيا دائماً ضد الحكومة حتى ولو كانت حكومة انقلاب الذي سمي في ما بعد ثورة!.

ونسيت أن أذكر في السطور التى مرت أن عمر المحيشي ممثل الادعاء العام قال للمحامي في فترة الاستراحة (كنت أتمنى أن يقدم كامل عراب شهادة تدين أحمد الصالحين الهوني الذي أتهم بتسخير الإعلام للدعاية للحكومة وتزوير الحقائق عندما كان وزيراً) فرد عليه المحامي متهم إلى جانب كامل عراب فكيف تريده أن يشهد على الوزير هذه ليست من أخلاق كامل عراب الذي تعرفه ليبيا جيداً.

ولقد سألني عمر المحيشي أثناء استجوابي عن رأيي فى الإعلام في عهد أحمد الصالحين عندما كان وزيراً فرددت عليه بالقول أن حجم البرامج السياسية قد زاد قليلاً عن حجمه السابق واكتفيت بهذا الرد المقتضب الذي لا يفهم منه إدانة ولا تأكيد تهمة.

ولقد جاء الصديق أمين مازن شاهداً في تلك المحكمة وفي الحق أنني لم أعد أتذكر ما طبيعة شهادته ولا في أي موضوع، إليس عنوان هذا الكتاب (أتذكر ، لا أتذكر!).

■ **أوف، كانت أيام!.**

حركة التقلبات التي لا تستقر على اتجاه واحد

لقد لاقت حركة 1969/9/1م صدى واسعاً لدى الناس في أول قيامها لكنها لم تلبث أن دخلت سلسلة من التقلبات التي لا تستقر على اتجاه ثابت ذلك لأن الانقلابات العسكرية جميعا ليس لها برنامج ولا منهج رؤية واضحة.

غالباً ما تقوم بسبب نقمة على أوضاع سياسية لكنها سرعان ما ترتبك وهكذا كان في حركة سبتمبر لقد استمرت سنوات قليلة تستقطب حماس الناس وتأييدهم ثم تخسرهم فيما بعد بلا استثناء إلا الذين يركبون موجتها ويتعلقون بها لمصالحهم الخاصة، لقد ظلت عبارة (العهد المباد) وتعني العهد الملكي تردد طول اثنين وأربعين عاماً كشماعة تعلق عليها كل الأخطاء وهذا وحده دليل الفشل الكامل، لكن على كل حال هذه سيرة ذاتية وليست تاريخاً كعهد، فذلك ما يترك للمؤرخون يقولون فيه ما يشاءون.

كادت تتم تصفيتي في روما

تنقلت وظيفياً بعد خروجي من الإذاعة وإحالتي إلى الخدمة المدنية بين عدة وظائف وعدة جهات فمن الغرفة التجارية إلى مؤسسة الصحافة ومن مؤسسة الصحافة إلى معهد الإنماء العربي الذي سمي فيما بعد بالهيئة القومية للبحث العلمي ثم عندما حلت عدت إلى الإعلام مرة أخرى وبقيت فيه إلى أن تقاعدت فى عام 1997.

في معهد الإنماء العربي الذي يتبع الهيئة القومية للبحث العلمي فيما بعد توليت إدارة التأليف والترجمة والنشر، وهي إدارة أصدرت عدة كتب علمية لمؤلفين ليبيين في مختلف العلوم وفي الحق أنها كانت هيئة مهمة قامت بدور لا يستهان به فى مختلف ميادين العلوم واستقطبت علماء عرب وأجانب وأقامت صلات مع مؤسسات علمية عالمية كثيرة وكان يتولاها مديرها العام المرحوم الدكتور على بن الأشهر، وهو رجل مشهور بالجرأة والنزاهة كما أنه عالم فاضل ويذكر الناس معارضته للقذافي في ندوة عامة منقولة عبر التلفزيون وله كتاب علمي شهير في التفاضل والتكامل.

لقد كان يقدرني ويحترمني جداً وأنا أحد مرؤوسيه، وكان لمعهد الهيئة مكتبة علمية نادرة نهبها السيد احمد إبراهيم ونقلها في سيارات ولا يعرف احد حتى الآن أين ذهبت محتوياتها بعد الزحف عليها وتخريبها..

وعلى ذكر احمد إبراهيم فلقد كان من أبرز العناصر في حركة اللجان الثورية سيئة السمعة، وقد أصدرت اللجان الثورية صحيفة الزحف الأخضر المكتوبة تحت ترويستها عبارة (صوت اللجان الثورية) فأتخذ المثقفون الوطنيون موقفا منها ولم يكتب فيها أحد منهم تقريباً.

ولما استفز هذا الموقف احمد إبراهيم دعا المثقفين إلى اجتماع لمناقشة هذا الموقف،

وقال ﻓﻲ ذلك الاجتماع أن الصحيفة مفتوحة لكل الآراء وكل الاتجاهات وسوف لن يصادر أي مقال مهما كان لأننا نريد أن نحقق ديمقراطية الكلمة.

وصدقه البعض ولم يصدق البعض الأخر وكنت أنا من بين الذين وثقوا ﻓﻲ كلامه وكذلك فعل آخرون وبدأت انشر مقالاتي ﻓﻲ الزحف وهي مقالات ازعم أنها تميزت بالجرأة، فلقد كتبت ذات مرة مقالاً أحذر فيه من نشوء مراكز قوي ﻓﻲ ليبيا وضربت مثلا بما حدث ﻓﻲ مصر واستشهدت بنكتة مصرية تقول ﻓﻲ أيام عبدالناصر أقدمت مراكز القوى على تنفيذ مشروع الوادي الجديد دون استشارة الرئيس.

وعندما سمع عبد الناصر بالموضوع استدعى رموز مراكز القوى هؤلاء وقال لهم سمعت أنكم تنفذون مشروع الوادي الجديد فلماذا تفعلون ذلك ونحن لدينا وادي النيل فردوا عليه:

- **علشان تبقى ياريس أنت ﻓﻲ واد ونحن ﻓﻲ واد!.**

وﻓﻲ مقال آخر نشرت مقالا بعنوان النقد النقد النقد يتخصص ﻓﻲ ضرورة فتح أبواب النقد بدون خوف لكي لا تنحرف الأمور إلى ما لا تحمد عقباه وضربت مثلا بحاكم من بلد فيها نهر اسمه النهر المتوحش يفيض هذا الوادي من حين إلى حين فيهلك الزرع والضرع والنسل فذهب بعض الناس إلى ذلك الحاكم يشكون من خطر النهر الذي دمّر حياتهم فسألهم ما اسم هذا النهر: قالوا له اسمه النهر المتوحش فقال لهم خلاص سموه النهر الهادئ، وقلت ﻓﻲ الخلاصة أخشى أن يكون الإصلاح ﻓﻲ بلادنا على هذا النحو ونشر المقال وأن تم تعديل عنوان من كلمة النقد إلى كلمة الحوار..

وأذكر أن الدكتور على بن الاشهر وكان قارئاً ومتابعاً استدعاني ذات مرة وبعد أن طلب لي قهوة قال لي بدأت تكتب ﻓﻲ الزحف الأخضر، قلت نعم، قال وهو يبتسم أنصحك كصديق الا تقترب وباستمرار كنت احتفظ بمسافة واسعة بيني وبين اللجان الثورية وبين رموز الحركة بشكل عام.

لقد جمعت مقالات الزحف الأخضر فيما بعد ﻓﻲ كتاب اسميته (عين على الواقع) وهو كتاب طبع ﻓﻲ بيروت ولكنه لم يوزع حتى الآن وأن كنت حصلت منه على مجموعة من النسخ أهديتها لبعض الأصدقاء وعندما سألت مؤسسة النشر عن السبب ﻓﻲ عدم توزيعه أجابني المسؤول فى تلك الشركة أن الباخرة التى كانت تحمل كمية الكتاب جنحت ﻓﻲ البحر فضاعت كتب كثيرة وما تم أنقاده كان قليلاً لا يغطي السوق..

على العموم حصل خير..

في ذات ليلة دعاني بلدياتي الصديق حسن الشيباني إلى بيته على فنجان قهوة وعندما ذهبت إليه وجدت عنده السفير الايطالي وكان جاره في السكن وبين يديه كتاب (عين على الواقع) وعندما قدمني إلى السفير مباشرة باللغة الانجليزية:

- **ستل ألايف؟.**
- **أي مازالت حياً !.**

وهو لم يتصور أن أحداً يمتلك الجرأة لكتابة هذا الكلام، فاذا كتبه أحد فلابد أن تتم تصفيته..

التصفية نجوت منها بأعجوبة..

حملت ذات مرة مجموعة من الكتب المخطوطة إلى بيروت لطباعتها وعندما أنهيت هذه المهمة عدت عن طريق روما لأزور الصديق الراحل محمد بشير الهوني صاحب جريدة الحقيقة التى صادرتها (الثورة) وكان يحاول إصدارها من هناك من جديد وعندما وصلت روما اتصلت به فوصف لي العنوان الذي يقيم فيه، وفي الليل ذهبت للقائه وعندما دخلت البيت وجدت عنده الصديق الراحل عبد القادر ابو هروس صاحب جريدة الرائد التى قفلت هي الأخرى والشاعر محمد الفيتورى الذى كان ملحقاً لسفارتنا هناك وشخصاً آخر لا أعرفه، قابلني فى مطار بيروت وأنا في طريق العودة شخص لبناني لا أعرفه وقدم لي نفسه على أنه كان يعمل فى ليبيا وفاجأني بالقول بأن مجموعة شباب صحيفتي الأسبوع الثقافي والأسبوع السياسي قد تم اعتقالهم فنزل على الخبر نزول الصاعقة.

المهم أنني عندما وجدت الشاعر الفيتوري لدى محمد الهوني إنتحيتُ به جانبا وأبلغته خبر اعتقال الشباب وقلت له أن القذافى يحترمك وبينك وبينه لقاءات مفتوحة كثيرة فلماذا لا تذهب إليه وتفهمه أن هؤلاء مجموعة من المثقفين الشباب لا يشكلون خطرا على الثورة وأنهم مجرد متحمسين إلى تحقيق حياة أفضل ومستقبل زاهر لبلادهم ولا يجوز اعتقالهم على هذا النحو وأن ذلك يسئ إلى سمعة ليبيا في الخارج.

ويبدو أني ذكرت اسم القذافى عدة مرات بينما ذلك الشخص الغريب يسترق السمع فلم يتمالك وقفز في لحظة كالمجنون وسحب مسدسا وجهه الي صدري وهو يصرخ (تتكلم على الثورة آخ، تتكلم على القائد توا نقتلك) فدفعنى الصديق عبد القادر ابو هروس بقوة الى الخارج بينما دفع محمد الهونى ذلك الشخص الى الخلف وهبطت قفزاً أنا وبو هروس

إلى باب العمارة ولم يتركني عبد القادر رحمه الله إلا بعد أن أوصلني الى البنسيون الذي أقيم فيه وعندما سألته عن اسم ذلك الشخص الذي حاول تصفيتي اقسم لي عبد القادر أنه لا يعرفه وأنه وجده بالصدفة في بيت الهوني ونجوت بأعجوبة من القتل، مع أنني لم أذكر القذافي بسوء على الإطلاق..

■ **ايه ..دنيا!.**

تقديم إقرار الذمة المالية للقارئ الكريم

لست على كل حال من الذين يلهثون وراء المال بل ما أكثر ما أوصف بالمبذر وأحياناً حتى المبذر السفيه..

وما أكثر الفرص التى واتثني ولم استغلها، فعندما كان متر الأرض في قرقاش بربع دينار اقترح على الصديق علي عاشور أن اشتري قطعة أرض هناك وكان دخلي معقولاً في تلك الأيام بسبب البرامج للإذاعية، سخرت منه وقلت له أنا لن أكون من أصحاب الأراضي في يوم من الأيام..

والصديق علي عاشور من أعيان قرقارش تعرفت به في الفترة القصيرة التى قضيتها في المؤسسة الوطنية للتأمين الاجتماعي فقد كان موظفاً في احدي شركات التأمين الايطالية وعندما أنشأت المؤسسة استولت على كل الشركات وضمت جميع الليبيين إليها، ورشح نفسه ذات مرة لمجلس النواب ونجح.

اتصل بي ذات مرة وأنا في الإذاعة وطلب مني أن احضر له عدة أسئلة عن أحوال البؤس والفقر المنتشرة في أحياء الأكواخ في مدينة طرابلس ليقدمها للحكومة في إحدى جلسات المجلس وضربنا موعداً للقاء في المساء في المقهى التجاري وعندما التقينا في الموعد سألني هاه حضرتلي الأسئلة.. قلت له سلامتك لقد قرأت للتو في نشرة الأخبار في الإذاعة مرسوما ملكياً بحل مجلس النواب فصعق على عاشور وهو يقول:

- ما تقولهاش؟.
- قلت له عليه العوض .. هذا ما حصل وأخذ يضرب كفا بكف وهو يقول دارها الشايب - يقصد الملك — دارها..

وكان الملك قد دارها بالفعل. .

عندما كنت في الإعلام أيام كانت السيدة فوزية شلابي وزيرة للإعلام تقدمت باقتراح مشروع حلقات تلفزيونية عن الثقافة العربية فى حدود ثمانية عشر حلقة مدة كل حلقة ساعة.

وهي فكرة مستمدة من (الخطة الشاملة للثقافة العربية) الذي أصدرته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية وكانت الخطة خلاصة دراسات شهور بين الخبراء العرب في حاضر ومستقبل الثقافة العربية ودعت الخطة بين ما دعت إليه التلفزيونات العربية إلى الاهتمام بهذا الأمر ووضعت موازنة بهذا المشروع في حدود (000، 250) مائتان وخمسون ألف دينار، بعد أخذ ورد وجدول طويل وافقت السيدة على المشروع ورصدت له المبلغ وبالفعل تم تحويل نصفه بالنقد الأجنبي لحسابي وباسمي في أحد البنوك المصرية ، وأخذت معي عبد الحفيظ شلادي الذي كان في تونس في شركة إعلامية مشتركة بيننا وبين تونس وهو له خبرة فى الإنتاج الإعلامي وطلبت من ابن عمي محمد حسن عراب أن يتولي الجانب الإداري للمشروع.

وبدأنا في التنفيذ، كنت قد قمت باستئجار اثنين من استوديات التنفيذ في دمشق وكلفت المذيع السوري المشهور رياض نعسان آغا الذي أصبح وزير ثقافة فيما بعد في سوريا بأن يكون مذيع الحلقات حسب الخطة التى وضعتها وأنا أقوم بإعداد كل حلقة على حدة، واستعنت بشركة غسان اغا الإعلامية التي لها سابق تعاملات مع التفزيون الليبي وأنفقت كثيراً على تنفيذ الحلقات (كمنتج منفذ) وسافر رياض إلى القاهرة والمغرب على نفقة العمل ليجري مقابلات مع أسماء مثقفين من كلا البلدين زودته بقائمة بأسمائهم هذا بالإضافة إلى المثقفين السوريين المعروفين وتشاورت مع شلابي في أمر المشاركة الليبية.

وفعلاً طلبت من ابن عمي الذي كان لا يزال في طرابلس على أن يدعو أكثر من عشرة مثقفين وفنانين ليبيين من طرابلس وبنغازي وأن يأتي بهم إلى سوريا للمشاركة وهذا ما كان.

وتم تنفيذ الحلقات على خير ما يرام لأنها في النهاية كانت بإسمي وأنا لا أريد المغامرة باسمي من أجل المال، كانت الأمانة قد حولت لي نصف المبلغ وتلكأت في تحويل النصف الثاني بينما لا تزال على بعض الديون في سوريا وحقوق للآخرين لم أسددها، وعبثا أفلحت الاتصالات الهاتفية في حل هذه المشكلة.

ولما كانت شركة غسان البرادعي هي المنفذة فقد تشاورت مع غسان في العودة إلى ليبيا

لحل المشكلة فهل الدائنون السوريون يصبرون على ذلك، وتعهد غسان بإقناعهم بالصبر قليلاً وهذا ما كان عدت إلى طرابلس وراجعت أمانة الإعلام عن طريق وكيلها رحمه الله عبد اللطيف بوبكر ولكن بدون نتيجة متحججاً بأن الأمانة ليس لها أموال على الرغم من أن هناك عقد بيني وبين الأمانة ينص على أن التنفيذ لا يبدأ إلا بعد تحويل الموازنة كاملة لحساب المنتج في الخارج، ولكن لأنني لم أكن تاجراً فقد قنعت بتحويل النصف ووثقت بتعهدهم بتحويل النصف الثاني.

فما كان مني إلا أن طلبت من ابن عمي (مصطفى السنوسي عراب) أن يحدد لي موعد مع معمر القذافي وتحدد الموعد بسرعة لم أكن أتوقعها ويوم الموعد ذهبت إلى باب العزيزية وكان معي مصطفي نفسه الذي أرشدني إلى صالة الانتظار القريبة من كوخ صغير على بعد كان يجلس به القذافي.

وجدت في الصالة خليطا عجيبا من الناس سفراء ووزراء وأعضاء من حركة اللجان الثورية.

تركني مصطفي وذهب إلى حال سبيله وكان الحديث يدور بين الحاضرين ويتساءلون من سيستدعيه القائد أولاً، وأنا كنت غريباً بينهم وبينما هم أنفسهم ينظرون إلى شزراً وباستغراب وبعد قليل جاء عيسى كوسه ونادى على إسمي فتطلعو جميعاً نحوي فابتسمت بمكر ورافقني عيسى إلى حيث (القائد) دخلت فوجدته جالساً إلى طاولة أمامها كرسي بلاستيك أبيض عادي وبعد أن سلمت عليه قال لي تفضل أجلس، قلت له ولا أداري كيف لن أجلس إلا بعد أن تحل لي مشكلتي من الإعلام، وإلا إذا كنتم تريدونني أن أقطع صلتي بهذا الإعلام البائس فسأفعل ذلك فوراً وسأترك طرابلس كلها واللي تلقوه هنا قصوا رجليه، لقد خلف لي والدي زيتونتين في الرجبان فسأجلس تحت ظلهما هناك وأعيش مطمئناً ضحك القذافي وقال غير أجلس جلست بالفعل وسألني فشرحت له الموضوع بالتفصيل الممل سألني عن موازنة المشروع فذكرتها له فقال لي خير أن شاء الله خير.

تحدثنا لبعض الوقت، كان عيسى ونحن في الطريق إلى كوخ معمر قال لي إن ترى عدد الذين سيقابلهم القائد فأرجوك لا تبطئ عنده قلت له هذا متروك له شخصياً.

وعندما انتهت المقابلة عدت إلى بيتي، وحوالي الساعة الثانية أتصل إبراهيم البشاري وطلب منى أن أتوجه إلى مصرف ليبيا لاستلم نسخة من تحويل بقية المبلغ قلت له الآن الساعة الثانية والمصرف مقفل يا أخ إبراهيم، قال لي لقد اتصلنا بالمحافظ في سرت

واصدر تعليماته العاجلة باتمام إجراء التحويل وهناك موظف المصرف ينتظرك ليسلمك نسخة من المعاملة، وكان الأمر كذلك.

لم تكن هناك علاقة تذكر بيني وبين القذافي وفى المرات القليلة التى قابلته فيها كنت أشعر أنه يحترم كلامي حتى وأن هذا الكلام منفعلا وما أكثر ما حدثه بانفعال ولذلك عندما قابلته مرة في معرض الكتاب بطرابلس وكان في زيارته تلك طلب أن يجتمع بعدد من المثقفين وحدث ذلك بالفعل أيام كان المرحوم محمد احمد الزوي مديرا لشركة النشر والتوزيع وجرت بيننا وبين القذافي مناقشات حول وضع الإعلام وبعد انتهاء تلك الجلسة وشرعنا في الخروج وشوش في أذني احد مرافقيه وهو يقول يا أستاذ كامل أنت ترفع في حسك على القائد قلت له لعلني احترم الرجل أكثر منك، ثم أنه هو الذي يدعونا للاجتماع به فإذا كان هذا الحال لا يعجبك قل له ألا يستدعينا!.

فسكت الرجل وهو يعتذر.

ولست أداري كيف كنت أتحدث مع القذافي فأنا رجباني وأصل الرجباني يتحوثون بصوت عالي دائماً.

وفي مرة ذهبت إلى الرجبان لإتمام بعض الإجراءات لبناء بيتي هناك وفي سوق البلد توقفت لشراء شئ ما وبمجرد أن أوقفت السيارة هرول نحوي رجل ما وقال لي أنهم يستعدون لاستقبال القذافي الذي سيزورهم ولقد حاولنا الاتصال بك لتكون حاضراً في هذه الزيارة فلم نفلح قلت له لو كنتم تبوني راكم لقيتونى ، أنا لن احضر هذه الزيارة وعبثا حاول الرجل أن يقنعني عدت إلى سيارتي وذهبت إلى جادو حيث كانت البلدية هناك، وعند العودة وجدت نفس الرجل يعترض السيارة وهو يومي بطرف جرده فتوقفت وقلت له خير أن شاء الله، قال لي لقد طلب القذافي قائمة بأسماء أبرز من سيكون بين الحاضرين فوضعنا اسمك فى أول القائمة وأنا أنصحك بأن تحضر وقبلت على مضض، وانتظرنا طويلاً في المكان الذي سيستقبل فيها القذافي وهو غير بعيد من السوق والطريق الرئيسي كنت ألبس جرداً في ذلك اليوم وعندما حضر القذافي وقفت بين الصف الذي سيستقبله وغمغمتُ رأسي في الجرد حتى لا يعرفني وبعد أن تم الاستقبال.

دخلنا لتناول العشاء جلست بعيداً عنه مع بعض الشيوخ فخلعت الجرد لكي أتعشى براحتي ولكن أحمد إبراهيم الذي كان يقف خلف القذافي رآني فوشوش في أذن قائده بأن كامل عراب هنا، وقد هرول عبد الله السنوسي نحوي وهو يقول القايد يبيك القايد

يبيك، قلت له خليني نتعشى فأخذ يردد مرعوبا القايد القايد، فنهضت مكرها وذهبت إليه وسلمت عليه، كان الاستقبال حاشداً حقا كان معنا على المائدة ابن عمي الضابط مصطفى عراب وما أن شرعنا في تناول الطعام حتى وجه القذافي قائلاً: عادها الجماهير كنت تبي تحكمها يافالح؟.

- قلت له على الفور وانتو نقزتوا خليتو حد يحكم؟.
- فضحك، وأردفت أنا: بالله عليك خليني نتعشى وأنت وقفتها لي في حلقي.
- فضحك مرة أخري!.

●●●

وإقرار الذمة المالية لم يكتمل بعد، عندما توفر لي مبلغ من المال من ذلك البرنامج آت برنامجاً آخر بعنوان (التنمية قضايا وآفاق) وهو برنامج لا يحتاج إلا لعملية مونتاج فقد كنت سجلت مادة ندوة عالمية عن التنمية عقدت في بنغازي وحضرها القذافي وساعدني في ذلك الرجل الخلوق خليل العريبي الذي اختار لي .. قدارة الذي كان يدرس الاقتصاد في الجامعة فى ذلك الوقت تم محافظ مصرف ليبيا فيما بعد لإجراء بعض المقابلات مع الشخصيات العالمية التي حضرت الندوة فحملت كل تلك المادة وأنتجت بها برنامج في ثمانية عشر حلقة مدة ساعة لكل حلقة وقدمتها للتلفزيون الليبي ولم اتقاض ثمنها حتى الآن، ومع ذلك وفرت بعض المال من هذه العمليات كلها وهو المبلغ الذي حل لي كل مشاكلي والحمد لله وجعل حياتي تمضي في يسر، لقد أنفقت جل المبلغ على كلا البرنامجين، وعندما حكيت التفاصيل للصديق الدكتور احمد إبراهيم الفقيه التى انتج عدة أعمال لحساب التلفزيون الليبي، سخر من هذا السخاء الذي نفذت به العمل وقال كلمة أضحكتني.

- يا مغفل حرك بالعود وأعطي لمسعود!!.
- وضحك..

كانت تجربتي الأولى والأخيرة في التعامل مع التلفزيون.

هذا اقرار صادق، فلم يطلب مني أحد وأن كانت هناك بعض أقاويل نسائية تقول بأن القذافي أعطاني فلوس!.

●●●

القذافي يسأل عني

كنا مجموعة الأصدقاء العبد لله ومحمد احمد الزوي وأمين مازن ويوسف الشريف وسليمان كشلاف وآخرين نجلس كل مساء بورشة المرحوم نوري الشوشين بشارع الوادي.

وفي ذات مرة جاء محمد احمد الزوي متهللا وهو يقول لي (انفتحلك باب العرش) فقلت له خيرا أن شاء الله.

فقال لي بحضور أغلب هؤلاء الأخوان، لقد جاءني إبراهيم بجاد وكان أحد موظفين قلم معمر في البيت وقال لي أن (القائد) يسأل عن كامل عراب وكلفني بأن أتصل به وأسأل عن أحواله وما إذا كان في حاجة إلى شيء.

فقلت له رد عليه بأن يشكر القائد نيابة عني فأنا بخير والحمد لله ولا أريد شيئاً، قال محمد الزوي هذا هو له هذا هو.

وانتهي الموضوع وأنا أقول لنفسي باب العرش عند الله وليس عند القذافي وعندما شاعت الحادثة قال كثيرون ومنهم أصدقاء للأسف، كامل عراب مغفل، كان على الأقل ينتهز الفرصة ويطلب ما يريد على الأقل شركة إعلامية في الخارج..

وفي تلك الأيام كنت أعيش مأساة حقيقية فقد وقع ابني هيثم الذي يبلغ من العمر ثلاث سنوات من الدور الأول من البيت الذي كنت أعيش فيه وتوفي بعد ساعات في المستشفي.

وكانت أمه المكلومة تلح على بأن أتدبر كيف أغير البيت لأنها لم تعد تطيق العيش فيه فهي كلما تحركت تري صورة ابنها أمامها، فكنت أذهب إلى مصلحة الإسكان عسى لأن يغيروا إلي البيت وكنت انتظر كل يوم من الساعة التاسعة ألى موعد انصراف الموظفين ولا يقابلني مدير الإسكان إلى أن يئست ولم أعد أذهب إليه، ومع ذلك لم أطلب من القذافي أن يتدخل لحل هذه المشكلة.

لكن القذافي مراوغ دائماً، فلقد منعت ذات مرة من النشر في الصحف المحلية وضللت

استقصي الأسباب إلى أن حكى لي أحد المقربين حكاية فقال أن القذافي كان ذات مرة يقلب الصحف فتوقف عند مقال لي وعندما قرأ الاسم، قال كما لو كان ممتعضا (حتى هذا ولىّ يكتب) فاعتبر من كان حاضراً من موظفي مكتبه أن ذلك يعني منعي من الكتابة وكان أن ابلغ المسؤولين في الإعلام بذلك.

وجاءني المرحوم الأديب خليفة حسين مصطفي الذي كان مشرفاً على الصفحة الثقافية في جريدة الشمس وهو يقول خيرك حاولت أن اكتب عنك مقالاً رفضوه قائلين كامل عراب (فكنا منا).

وفي مرة أخري بعد أن هدأت الأمور واستأنفت الكتابة نشرت مقالاتي في صحيفة الشمس حول حادثة لوكربي فصادروا الصحف وجاءني رئيس تحريرها وهو يقول لي لقد جنيت علي فقد كنت مرشحاً للعمل في مكتب ثقافي في الخارج فضيعت على الفرصة قلت له ولماذا لا تمنع نشر المقال أجابني بأنه عندما قرأ المقال لم يجد فيه شيئاً غريباً، ومرة أخرى أخذت استقصي الأمر فوجدت من أفادني بأن (القائد) كان سيتكلم عن ندوة في نفس الموضوع فسبقته أنت، يا للعجب، كيف كانوا ينظرون إلى الأمور؟.

وفي مرة أخري استدعاني عبد الله منصور مدير هيئة الإذاعة وقال لي بأن (القائد) يتمني منك أن تكتب شيئاً عن قصصه فقبلت وأنا مرغم تقريباً، لكنني حاولت أن أكون موضوعياً تماماً، وسجلت عدة حلقات عن تلك القصص، وفوجئت ذات مرة بأن حلقة لم تذع وعندما تقصيت الأمر اكتشفت أن الحلقة أوقفت لأنني ذكرت اسم القذافي مجرداً دون أية ألقاب!.

●●●

وبسبب الرد الذي بعثته للقذافي مع إبراهيم بجاد بواسطة محمد احمد الزوي ظل المقربون منه يطلقون على دائماً اسم (الزاهد) وتكرر هذا اللقب كثيرا حتى أن اسمي عندما يذكره أحد الذين يتعاطفون معي للترشيح لأحد الوظائف القيادية في الدولة كان هناك من يقول لا تحرجوا أنفسكم معه فهو زاهد ولا يقبل شيء!!.

ليبيا بلد مفتوح ليس فيه سر يخفى على أحد وهناك دائماً من ينقل إليك الأخبار حتى من داخل ما كان يسمى القيادة، هكذا كنا كثيراً ما نعرف أخبار فسقه وفجوره من داخل قيادته المحصنة، وكنا نعرف أسرار كثير من المواقف ينقله البعض إما من باب التباهي بمعرفته لأدق الأشياء وأحياناً من باب التشفي، وهكذا مثلا أسرت إحدى محضياته التى

اغتصبها واتخذها خليلة كانت تقول لو أعرف مصابا بالايدز لمارست معه الجنس حتى يصاب القذافي نفسه بهذا الداء اللعين وفي المسائل الإدارية والممارسات الثورية كثيراً ما كانت تخترق الأبواب لتصل إلينا ساخنة..

كنت دائماً احتفظ بمسافة بيني وبين القذافي ولجانه الثورية وهو قرار شخصي منذ البداية عزيزة في نفس الدكتور على بن الأشهر كما ذكرت من قبل في إحدى صفحات هذا الكتاب.

اتصل بي مرة عضو في اللجان الثورية وقال هناك توجيه —وعندما يقولون توجيه فهم يشيرون دائما للقذافي - بأن نفتح على النت موقعا باسمك فرفضت هذه الفكرة تماماً وقلت غاضباً لو فعلتم ذلك فسأتتصل من هذا الموقع علناً.. ولذلك لم اؤسس موقعا حتى شرعت في انجاز هذا الكتاب بعد 17 فبراير..

موهبة الإلقاء

لم تكن موهبة الإلقاء التي يقولون أنني اتميز بها، لم تكن دائماً ترضيني، ففي أغلب الملتقيات المنقولة والتى غالباً ما كانت تنتهي –كتقليد - ببرقية (للقائد) وكان منظمو تلك الملتقيات يتجهون الى لألقي البرقية وكان ذلك إحراجا لا أستطيع التنصل منه وأبرر ذلك بأن البرقية ليست شخصية وإنما هي برقية الملتقى أو المؤتمر..

وفي الملتقيات المشهورة التي توافدت فيها القبائل (بتوجيه) على باب العزيزية لتعلن تأييدها للقائد بسبب التحرشات بليبيا في البحر الأبيض المتوسط اتصل بي عدد من أعيان الرجبان لأكتب البرقية وألقيها عند مقابلتهم له، وعبثاً حاولت أن أتنصل قائلاً أنا محسوب على ليبيا كلها وليس على الرجبان وحدها ولكنهم أصروا على هذا القرار، فكتبت البرقية فعلاً ولم أريها لأحد.

وعندما كنا في الطريق إلى باب العزيزية مال علي أحد رجال المباحث من المنطقة وقال لي فنهرته قائلاً أنا أعرف ما أقول فسكت وانصرف وداخل باب العزيزية قابلتنا حشود من منطقة مزدة وهم يهتفون (قنطرار قنطرار) والتقت عيني بعين الصديق حسين المزداوي وبلقاسم المزداوي فضحكنا لأننا كنا نعرف أن هذه اللقاءات مجرد مهزلة وهي شكلية ولا معنى لها.

وحاولت في تلك البرقية أن أكون مراوغاً على طريقة صديقي لامين مازن، إذ بينما كانت كل الهتافات تقول (كل الروص فداء لراصك) قلت أنا (نحن معك وأنت معنا أيها القائد في كل الخطوب عندما يتعرض الوطن للخطوب) ونفيتها من عبارات الملق والنفاق بل تحدثت فيها أكثر عن الرجبان وتاريخها وجهاد أبنائها الخ الخ).

وفوجئت أن تلك البرقية أخذ التلفزيون يبثها كل ليلة قبل نشرة الأخبار وعندما اتصلت

بالزميلة فوزية شلابي وكانت أيامها إما وزيرة أو مدير لهيئة الإذاعة –لا أذكر – وسألتها عن سبب هذا التكرار قالت بمراوغة هي الأخرى أنت تعرف جيدا أني لا أتصرف من عندي في مثل هذه الأحوال وفهمت أن هناك توجيه بما حدث، وتكرر ذلك عدة مرات.

وأثارت تعليقات كثيرة في الشارع فهناك من سماها الفصل الرابع من الكتاب الأخضر، لأن إذاعات الأخبار في التلفزيون كانت مسبوقة دائما بنص من الكتاب ينهيها المرحوم سليمان العزابي بكلمة (من الفصل الثالث من الكتاب الأخضر).

وهناك مشاهد أتصل بالتلفزيون يسألهم:

- هل صحيح كامل عراب من الرجبان أم أن الرجبان استلفوه لهذه المناسبة!.

أما أهالي الزنتان المجاورين للرجبان والمعروفين بسخريتهم فقد علقوا قائلين.

- الرجبان (عن كداكتها) * حايبين واحد مصري يلقي في برقيتهم!.

* عن كداكتها: الازمة دائمة في حديث أهالي الزنتان أي بمعني هكذا (تقريبا).

لماذا العبوس

مظهري الخارجي مظهر الإنسان العبوس، ولكن على كل حال أحمل في داخلي قلبا طيبا يحب الناس ويتمني لهم الخير دائما، وصفني الصديق محمود البوسيفي الشاعر فقال أنت كالرجل الروسي، قلت كيف قال ترى الرجل الروسي عبوساً متجهما فإذا اختلطت به تكشتف أنه في غاية الوداعة والطيبة، هل أنا حقا كذلك؟.

هذا يبدو صحيحاً، فعندما توفي ابن عمتي الجبلاني طريبشان رحمه الله كتبت عنه مقالا وذكرت فيه ان الجيلاني عندما اقترب مني ذات مرة وأطلعني على بعض قصائده الشعرية ليأخذ فيها رأي قلت له أنت شاعر حقيقي فلماذا لا تطلعني على قصائدك قبل الأن أجابني أنت عندما لا تكون في جلسة انسجام تحرق من على بعد كيلومترين فقلت يا الطاف الله.

ولكن عكس هذه الصورة الخارجية هناك تفسير آخر لمن اختلطت بهم واكتشفوا أعماقي وربطتني بهم صداقة فكتبوا عني عندما أصابني المرض وسافرت خارج ليبيا للعلاج، وبعضهم توقف بالذات عند نقطة العبوس فقال رأيا اعتز به ويعتبر شهادة ولذلك اخترت بعض تلك المقالات ونشرتها في آخر الكتاب دون حتى أن استشير أصحابها الذين يعرفون أنني أفعل ذلك بنية حسنة وهي شرف لي.

الاعتقال بدون سبب إرهاب وتحذير

في عام 1973م أقدم القذافي على تنفيذ هوجه اعتقالات عشوائية تجلي فيها خبثه ومكره بكل وضوح، لقد شملت الاعتقالات كل الأطياف السياسية بدون استثناء، شملت حتى أولئك الذين اتصل بهم قبل حركته الانقلابية التي سماها ثورة وأظهر لهم استعداده للعمل معهم وهو طالب وهو ضابط في الجيش الأمر الذي يؤكد أن الرجل بلا ضمير.

شملت الحركة الاعتقالات الواسعة طرابلس وبنغازي والجنوب والجبل ولم يستثني حتى أولئك الذين مازلوا دون سن الرشد، كانت الحملة لها معني واحد هو إرهاب الناس وإشعارهم بانه ليس هناك واحد بعيد عن قبضة الدكتاتور وعندما بدأت هذه الاعتقالات وبلغتنا أخبارها كنت أجلس أنا والمرحوم الأديب عبد الله القويري في احد مقاهي مدينة طرابلس قلت له:

- **مش غريب يا عبد الله يقبضوا علينا حتى أحنا بتهمة (عدم القيام بأي شئ).**

في اليوم التالي قبض علينا بالفعل، وبعد أيام قليلة اقتادوا من السجن في مراكز الشرطة بدون تحقيق طبعا اقتادوا كل واحد من مكان الى سجن (بورتا بينيتو) أو كما كان يطلق عليه الليبيون (الحصان الأسود) وعندما أدخلوني إلى ساحة السجن قابلني عبد الله القويري مع معتقلين آخرين في الساحة وعندما اقترينا من بعضنا ضحكنا طويلا.

ضحكنا لأننا تذكرنا تلك الكلمة وضحكنا لأننا كنا نعرف في أعماقنا أن عبث القذافي يصل إلى هذا الحد وأكثر، وليلة الاعتقال نبهني رجل المباحث الذي أشرت إليه فيما سبق إلى أن الدور على غدا، فما كان مني إلا أن أخذت زوجتي إلى بيت والدها لكي لا تحضر عملية الاعتقال وبقيت في البيت.

الغريب أن رجال الشرطة الذين نفذوا العملية لم يكونوا يعرفون الأسباب وهم ينفذون

أوامر وبس وكانوا يقولون فيما يشبه الاعتذار أن هذه العملية لن تدوم سوى ساعات أو بعض يوم وكانوا مؤدبين في إجراءاتهم، ولكن الأيام دامت شهوراً بعيداً عن النيابة والقضاء وبعيداً عن القانون فالقذافي عطل جميع القوانين بكل وقاحة وفي خطاب علني – في زوارة – ولم يستح أمام العالم على الأقل.

لقد تعرضنا في السجن إلى اهانات كثيرة حلقوا رؤوسنا منذ البداية، ولم أنسي تلك اللحظة التى عشتها حيث شاهدتهم وهم يحلقون لحية الشيخ الوقور (علي معمر) الامازيغي صاحب كتاب الاباضية في موكب التاريخ فلقد كان هذا الشيخ مدير مدرسة في جادو وكنت تلميذاً في الابتدائية فى تلك المدرسة.

وكنت أرى مقدار الاحترام الذي يحظى به ذلك الشيخ من قبل التلاميذ ومن قبل المعلمين ومن قبل كافة أهالي جادو وكان هو صاحب علم غزير وطيبة نفس ومضت سنوات طويلة من عمره ولم يحلق تلك اللحية.

لم يتوقف الأمر عند الحلاقة فقط أنما شرعوا يضربوننا فلقة ويجبروننا على الركض حول نافورة السجن ونحن حفاة بعد أن يكونوا قد نثروا في الأرض كميات من الياجور المفتت والياجور عندما يفتت تصبح شظاياه كامواس الحلاقة.

الغريب أن بعض حفلات التعذيب كانوا يقومون بها في الساحة لكي يرى الجميع مدى جبروتهم وسطوتهم، فقط أولئك الصغار تلاميذ الثانويات العامة كانوا يأخذونهم إلى مكان آخر يعذبونهم ثم يعيدونهم إلى العنبر في حالة يرثي لها، وكلنا ننتظرهم نحن الكبار فنسرع لتضميد جروحهم ومواساتهم وتشجيعهم على الاحتمال والصبر كان أغلبهم متهما بالانتماء إلى حزب التحرير الإسلامي.

وربما كانت هذه التهمة صحيحة، لان العديد منهم كانوا قد بقوا في السجن لمدة عشرين عاما أو يزيد، وفي ليبيا لم يكن حزب التحرير الإسلامي معروفا إلا بعد أن جاء العديد من المعلمين العرب وعينوا مدرسين في الثانويات فغرروا بأولئك الشباب، وعندما قلت حفلات التعذيب وكانت شهور الاعتقال اعترف البعض منهم بالانتماء لذلك الحزب اعترفوا لنا بعضهم بهويته الحزبية وفهمنا منهم أن هذا الحزب أسسه واحد – سوري أو لبناني لم أعد أذكر جنسيته – وأن اسمه هو تقي الدين النبهاني – وأنه اختفي ببعض الملايين في مرحلة لاحقة من التأسيس وعندما سألناهم لماذا اختفي قالوا أنه ينشر الدعوة فى أوروبا.

كانوا سذجا وضحلي الثقافة على كل حال، وجماعة هذا الحزب قالوا أنهم أوشكوا أن يحكموا العراق ذات مرة لكنهم اختلفوا على لون العمامة التي سيلبسها الشعب في المستقبل أتكون خضراء أم بيضاء أم سوداء.. سخرية على كل حال.

سألناهم ذات مرة ماذا كانوا يقولون لكم قال كانوا دائماً لكل واحد:

- **اعترف وتنازل وتوا تطلع..**

علقت أنا بسخرية لابد أنهم كانوا ينطقون (توا) طويلة ممطوطة أي بمعني يستحيل تطلع إذا اعترفت .. وكان دائماً يشاركني في هذه السخرية الصديق لامين مازن، لامين الذي كان يسخر بطريقته الخاصة ويقول (أنا مش زيكم انا جابوني بعد لفلقة) أي بعد حفلات التعذيب، وهو فعلاً قد تم القبض عليه بعد اعتقالنا بكثير..

الغريب أن مأساة (حمزة البسيوني) رجل تعذيب المعتقلين السياسيين في مصر الذي مات في حادث سيارة شنيع وتمزق جسده قطعا قد تكررت في ليبيا فقد كان يشرف على تعذيبنا ضابط جيش اعتقد أن اسمه كان (العروسي) فيما أذكر وهو من الزاوية قد مات في حادث سيارة مشابه ومات بنفس الطريقة التى مات بها حمزة البسيوني، فالله ينتقم من الظلام ليعطي عبرة للآخرين هذا إذا كان هناك من يعتبر..

كنا في الشهور الأولى من الاعتقال تحت حراسة الشرطة العسكرية في الجيش وأغلبهم لم تكن في قلبه رحمة إلا رئيس عرفاء طباخ كان يأتينا بكازان الأكل عند وجبة الغذاء وكان طيبا وودوداً، سألته ذات مرة لماذا أنت لست مثل الآخرين، فأجابني بأن والده كانوا يقول له كل صباح رد بالك تهين الرجال أو تسيء معاملتهم، فالمثل يقول (السجن للرجال) خاف الله وأنا –قال – لا أعصي لوالدي أمرا..

وفعلاً السجن للرجال، فعندما أعلن معمر القذافي استقالته المشهورة في حركة تمثيلية وخرجت المظاهرات التى حركها أنصاره تطالبه بالعدول عن هذه الاستقالة حرر أمراء السجن برقية مليئة بعبارات النفاق وطلبوا منا توقيعها ترجوه الا يستقيل كذا، ولمكرهم ذيلوها بقائمة بأسماء المعتقلين وتركوا فراغا أمام كل اسم حتى يكون واضحاً من وقع ومن لم يوقع فرفض كل اليساريين التوقيع على تلك البرقية وعندما سألونا لماذا لا توقعون قلنا لهم نحن سجناء ولا نملك حريتنا فكيف يوقع من لا يملك حرية القرار فشتمونا، عندما عدل القذافي عن الاستقالة تعرضنا لنوبة ازعاج حيث أخذ العسكريون يطوفون على الحجرات وهم يطبلون ويغنون:

(يا رجعية صح النوم القذافي رجع اليوم).

● **صحيح نحن الرجعية!!.**

وعندما نقلونا من حراسة البوليس الحربي إلى البوليس العادي ارتاحت الأمور إذا كان هؤلاء أناسا طيبة ومحترمين بالفعل بل كان بعض ضباطهم يسهرون معنا ويلعبون معنا الورق وكانوا يسمحون لنا بالزيارات العائلية وسمحوا للأكل أن يأتينا من بيوتنا ورفعوا الرقابة المشددة علينا وسمحوا لنا بالتردد على مكتبة السجن وزودونا بتلفزيونات بمعني أن المعاملة أصبحت معاملة سياسيين وزودوا المرحوم عمر النامي بكميات من الأوراق والأقلام فقد قال لي أنه منكب على تأليف قاموس عربي امازيغي، ولا أدري ما إذا كان قد انهى مشروعه قبل أن تناله يد الغدر أم لا.

وبدأ التحقيق معنا، تولى التحقيق ضباط من الشرطة وفي الحقيقة، تولى التحقيق ضباط من الشرطة وفي الحقيقة كانوا طيبين جدا إلا واحد اسمه (سنان) ضابط البوليس هذا أهان من حقق معهم بل ضرب بعضهم، وكان ذلك مرة وهو يحقق مع متهم أن طلب من شرطي السجن أن يضرب متهم فرد عليه بكل جرأة - لا، فأنا هنا لحراستهم وليس لضربهم هكذا حكى لنا المعتقل نفسه - ..

ولقد اثني جماعة الامازيغ على ضابط الشرطة (صالح التواتي) الذي حقق معهم في البداية وكان مؤدبا جدا ومحترما جدا..

وقد حقق معنا من بين من حققوا ضابط شرطة اسمه (جمعة الخلاص) وكان في غاية الأخلاق وعندما وقفت أمامه للتحقيق طلب مني أن أجلس وأستريح وأمدني ببعض السجائر وهو يقول خذ راحتك تماماً وأنا معك حتى لو بقينا لساعات وقال لي أنا لا أوجه إليك أية تهمة وإنما هي أسئلة مكتوبة ها هي وهذا الورق والقلم واكتب كما تشاء.

وعندما أجبت على الأسئلة واخذ يقرأها توقف عند جواب عن سؤال يقول كيف حصلت على هذه الكتب في مكتبتك، فأجبت (بعضها اشتريته من المكتبات الليبية وبعضها اشتريته عند سفراتي إلى الخارج) فقال لي عدل كلمة سفراتي واكتب بدلها رحلاتي إلى الخارج حتى لا يقرأوها سفاراتي فتكون ورطة لك وعمالة أجنبية وضحكنا كثيراً..

بعد تسعة أشهر من السجن افرجوا عنا وقبل أن نذهب إلى بيوتنا أخذونا إلى إدارة المباحث العامة (امحمد الغزالي) الذي كان طيبا وودودا والذي قال لنا بكل صراحة، لقد عملنا المستحيل كمباحث عامة أن نحول دون اعتقالكم وخاصمناهم كثيرا وقلنا لهم أن هؤلاء الناس لم يرتكبوا أية جريمة تستحق السجن ولكن الآخرين كانوا يصرون على القيام

بحملة الاعتقالات تلك وأبرز هؤلاء كان خيري خالد مدير الشرطة العسكرية وهو ينفذ تعليمات عليا ليس لديها أي مبرر قانوني.

ثم قال أنتم سترجعون إلى أعمالكم معززين مكرمين، وإذا تعرضتم إلى أية اهانة في المستقبل تستطيعون أن تبلغونا ونحن نتخذ الإجراءات وستعاد إليكم جوازات سفركم وتستطيعون أن تسافروا متي تشاؤون وبلا أدني إحراج فمن يريد فنحن سنقوم نيابة عنه بإجراءات السفر والحصول على تأشيرات الخروج وتأشيرات الدخول إلى أي بلد فأنتم أحرار منذ الآن، ولتسهيل الحصول على تأشيرات الخروج فهناك تعليمات لدى الأخ (عبد الرحمن قرصع) في مكتب الجوازات بمنح أي منكم تأشيرة بدون أبطاء، شكرنا المرحوم (الغزالي) وانصرفنا الى بيوتنا..

كانت الصحف قد نشرت خبرا يقول أن الذين لم تثبت عليهم أي تهمة قد تم الأفراج عنهم، ولكن بعد إيه!.

بعد عشرين أو خمسة وعشرين عاماً أتصل بي الصديق المحامي الدكتور جمعة عتيقة وأبلغني بأن هناك مجموعة من المساجين سيتم الإفراج عنهم إذا كنت تريد أن تحضر هذه المناسبة، ذهبنا معاً إلى سجن الجديدة ففوجئت بأن الشباب المراهقين الذين كانوا معنا في السجن قد أصبحوا شيوخاً يلاحظ الشيب في رؤوسهم وعندما رأوني كانت لحظة فريدة اختلط فيها العناق بالدموع وبهجة الفرح رغم ظلم السنين وعذابات السجون والغياب الطويل عن الأهل والناس وضياع أجمل سنوات العمر..

14 مكرر

ربطتني علاقة مودة بالدكتور عمر النامي في السجن فكنا نتحدث لفترات طويلة عن همومنا ومشاريعنا المستقبلية عندما نخرج من السجن وكنا نقضي بعض الوقت في مطارحات شعرية والمطارحات الشعرية اتيت على ذكرها في صفحات سابقة، ذات مرة قال الدكتور بيتا من الشعر قافيته (كاف) ولما لم تنجدني ببيتن يبدأ بالكاف ارتجلت بيتا من (دماغي) يقول:

كلام الآخرين يقال (زرب)

فلو عاشو لتوا لما (خطمت)

و(الزرب) هو شجرة الشوك المعروفة لدي العامة باسم (الزرب) وخطمت معناها مررت والبيت مأخوذ من المثل الذي يقول (كلام الناس لولا زرب)..

ندوة (اوجز ولا تستطرد)

كنا نعرف أن ندوة الفكر الثوري التي عقدها القذافي مبكر في بدايات حركته هي مجرد حركة خبيثة لمعرفة اتجاهات المثقفين ومجرد مزيد من الرصد لهم وتربص بهم للإجراءات القمعية التى كان يبتها ولكن أغلب المثقفين كانوا جريئين في تلك الندوة فلم يبالوا بالنوايا المبينة.

فطووا أفكارهم واراءهم في ما يتعلق بمستقبل البلاد والسياسة التى سنسير عليها، كان ذلك تكديس للملفات جديدة إلى جانب الملفات المباحثية القديمة.

لكنها ندوة لم تخل من بعض الإنتهازيين الذين يريدون ركوب الموجة وأولئك هم من أخذ رجاله بهم قائمة وظائف قيادية أو حتى استوزه، كل فريق من المثقفين نظر إليها من زاوية.

طرح القذافي أفكاره المماثلة وسمح بالنقاش بدون مصادرة وعلت تلك الندوة أصوات جريئة حقائق من بينها مداخلات الأستاذ طالب الرويعي من بنغازي وهو الذي كنا ننسق معه في محاولاتنا لتأسيس اتحاد عالمي مواز لاتحاد سالم شيتا الذي سبق ذكره، وآخرون كانوا كثيرين لم أعد أذكر أسماءهم، لم أعد أذكر أسماءهم لآن عدد كبيرا من الناشطين السياسيين والمثقفين قد اختفوا من الساحة لاعتقادهم بأن رسالتهم انتهت بعد قيام تلك الحركة الانقلابية والتى جاء بكثير من الوعود التى تصوروا أنها ستحل مشاكل البلد وتنقلها الى مستوى جديد من التقدم والرفاهية فما جدوى الكتابة وما جدوى النشاط السياسي.. وكثيرون لم يتصوروا أن القذافي سينقلب وشيكا الى النفيض مما كان يبشر به ويرفع شعاراته.

وحركة 1/9 مضت في الاتجاه الصحيح لسنوات قليلة بتحقيق إجلاء القواعد الأجنبية

وإلغاء المعاهدات مع أمريكا وبريطانيا وتصفية بقايا الاستعمار الايطالي من المعمرين الذين كانوا يستولون على أخصب الأراضي الزراعية المغتصبة وإجراء إصلاحات أخرى قليلة لكن خطأها الكبير في تصوري هو تصفية القطاع الخاص.

إذ لم تكن في ليبيا رأسمالية متوحشة مثلا تخشى منها وإذا كانت هناك رأسمالية محدودة فهي رأسمالية وطنية، ومعروف أن الرأسمالية الوطنية هي دائماً مع الإصلاح واستقلال القرار الاقتصادي والسياسي ومتحالفة مع الحكم الوطني إذا كان هناك حكم وطني لأنها ترى فيه حماية لها من المنافسات الأجنبية التي تشكل خطرا محتملا على نشاطها، ثم أن تجارب التأميم التي أمامنا في بعض البلدان العربية كانت سيئة فهي لم تحقق سوى خلق موظفي نهبوا المال العام وانتشرت على أطرافهم جيوب الرشوة والفساد وشراء الذمم.

حدثني موظف بإحدى الإدارات الحكومية عن موظف كبير ذهب إلى إيطاليا لعقد صفقة لشراء آلات زراعية وكان مهندسا يعرف خصائص تلك الآلات فطلب رشوة من الشركة التى سيتعاقد معها ولكن الشركة رفضت هذا الطلب فطلب منهم أن يزيلوا أجزاء معينة من تلك الآلات ولكن المسؤولين الذين ستعاقدون معه قالوا له بأن الآلات سيصبح عمرها قصير وستكون معرضة للعطب بسرعة، فرد عليهم بأن الخاسر في هذه الحالة هو نحن الليبيين وأنا لا أبالي بهذه الخسارة، فطرده أصحاب الشركة وهم يقولون – نحن نحافظ على سمعة الشركة وأما أنت إذا كانت مصلحة بلدك لا تهمك فأذهب إلى الجحيم، وألغيت الصفقة بينما ظل المزارعون الليبيون يعانون كثيرا من المشاكل.

ولقد كنت ذات مرة عائداً بالسيارة أنا والمرحوم بشير قاجيجي ومعنا نسيبه والد زوجته وهي مصرية ذكية وفطنة فكنت طوال مسافة الطريق من القاهرة إلى طرابلس تحدثنا عن نماذج من فساد الموظفين فى القطاع الخاص وجشعهم واستغلالهم للمواطن الغلبان، لكن إجراءات القذافي كانت دائما مغامرات في الهواء..

لكن ندوة الفكر الثوري لم تُخلف على المستوى العملي سوى كثير من التعليقات الساخرة والنكث المتداولة بين الناس وعبارة واحدة ظلت حية يتندر بها الجميع هي ما كان يقوله منظم الندوة محمد الماسك بشكل سمج ومنفر ومتكرر وممل:

■ **اوجز ولا تستطرد.**

على الماشي

قلت أن كثيرا من المثقفين والسياسيين اختفت أسماؤهم من الساحة، احترموا أنفسهم ولاذوا بالظل ولم تخلق تلك الحركة جيلا جديدا من المثقفين ذوي الشأن.

كان الفكر الثوري المزيف هو اللغة الوحيدة التى سادت وأصبح صوتها هو الأعلى دائماً وقاموسها المبتذل واحدا ولم ينشأ جيل جديد من الكتاب إلا بعد أن شاخت وركبها العجز والعقم حقا لقد نشأ جيل متفتح وقادر حتى وأن أصاب الغرور بعضه وظل لفترة مصابا بالغضب وما يشبه التنكر للجيل الذي سبقه جيل ما قبل حركة الفاتح فسموا أنفسهم جيل التسعينيات أي بعد نحو ثلاثين سنة من (الثورة) وربما كان لهذا الغرور مبرراته فهم عندما فتحوا عيونهم وجدوا أمامهم شعر أرث وقصص قصيرة مفتفته ومقالات تدعي الأدب.

وهي لا تتجاوز مرجعية الكتاب الأخضر والشروح، أي شروح ذلك الكتاب وهم لم ينظروا إلى تراب ما قبل القذافي.

ولكن سرعان ما أدرك النضج هذا الجيل فلم يعد التباهي بأدب (التسعينيات) باعتباره بلا أب واختفت تلك الأزمة وشقوا طريقهم باعتداد فهم الآن في مستوى الأدب العربي وأحياناً أكبر من ذلك في كل أجناس الكتابة وفروع الإبداع فالأوطان لن تكون عقيمة حتى ولو حكمها مائة من أمثال القذافي.

لم تردعهم فاشية الحكم ولم يفلح الحصار الثقافي في عزلهم عن تيارات الحداثة والتنوع في الوطن العربي والعالم وحتى أولئك الذين ألقي بهم في السجون ظلوا أوفيا للكلمة رغم المكابدة وأبدعوا أشعارا عظيمة وقصص فادحة المحتوى وشاجبة للجبروت الذي مارسه النظام.

في الوظيفة العامة وبعدها

تقاعدت من الوظيفة العامة بعد اثنين وأربعين عاما وصلت أثناءها إلى أعلي درجات السلم الوظيفي ولم يتجاوز راتبي التقاعدي (388) دينارا لم أشأ كما فعل بعض الناس أن أضم إلى راتبي الذي سأتقاعد على أساسه مكافآت ثابتة وهمية كما فعل بعض الناس حتى يرتفع راتبهم التقاعدي وفي الحق عرض الصديق لامين مازن وكان أمينا لرابطة الأدباء والكتاب أن يقدم لي شهادة بأنني كنت أتقاضي (200) دينار ثابتة بحكم كثيرون ينظرون لهذه المسألة على أنها تحايل مقبول على معاناة وبؤس موظفي الذين اللذين حرموا من أية تعديلات في مرتباتهم منذ سنة 1985م رغم غلاء الأسعار وتشعب ضرورات الحياة واحتياجاتها.

كنت متلهفا للتقاعد والخروج من الوظيفة العامة فطلبت في سنة 1996م من الموظف الإداري في أمانة الأعلام أن يدرج اسمي في قائمة الموظفين الذي سيحالون للتقاعد، وعندما خرجت تلك القائمة من الخدمة المدنية لم أجد أسمي بين الأسماء فذهبت محتجا لنفس الموظف فابلغني أنه اقترح بالفعل اسمي فى القائمة ولكن الأمينة وكانت أيامها السيدة فوزية شلابي شطبته، فقلت له إذا أردت أن تخدمني في السنة القادمة ضع اسمي في القائمة ولا تعرضها على الأمينة وهذا ما كان..

تقاعدت وأنا مسؤول عما سمي أيامها (صندوق الإنماء الثقافي) وهو مؤسسة أنشأتها الأمينة وصدر بها قانون من مجلس الوزراء، ومن يقرأ ذلك يستبشر بأنه إذا تم تنفيذ ما به من اختصاصات وإذا توفرت له الأموال اللازمة فسيحقق نهضة ثقافية كبيرة.

الخطأ الوحيد هو أن قرار إنشائها نص على أن يكون مقره جادو التي تبعد عن مدينة طرابلس مائتي كيلومتر مع أن نشاط الصندوق مرتبط بالأدباء والفنانين فكيف ستكون

علاقتهم به وهو على بعد كل هذه المسافة لكننا تغلبنا باقتراح أن يكون للصندوق مكتب في طرابلس على أن يكون المكتب الرئيسي في جادو شكليا فحسب وهذا ما حدث.

وعندما كانت السنة المالية على الأبواب وضعت برنامجاً طموحا وخطة عمل للسنة الأولى من عمر هذا الصندوق برامج في مجال الثقافة وفى مجال الفنون على مستوى ليبيا كلها.

ولم تتجاوز تقديرات تلك الخطة سوي ثلاثة ملايين دينار عرضتها على الأمينة فوافقت عليها كلها بلا مناقشة.

ولما كان تقدير الميزانية العامة للدولة تتم مناقشتها من قبل المديرين الماليين في الأمانات قبل عرضها على مؤتمر الشعب العام أرسلت المدير المالي والإداري للصندوق وكان السيد صبحى ابو عبد الله لكنه بعد جلسات المديرين تلك عاد إلى غاضباً وهو يقول لقد وضعتني يا سيد كامل موقف لم أره طوال فى حياتي، قلت له كيف قال لي عندما عرضت الخطة بتقديراتها المالية أخذ الحاضرون يهزأون بي وهم يقولون صاحبك كامل هذا وين عايش، ومع أن كل بند من بنود الميزانية التى اقترحتها كان بمذكرة تفسيرية إضافية ولكن أولئك المديرين الأغبياء كانوا يرون أن الآداب والفنون مجرد هلس لا معنى له وقلصوا الميزانية من حوالي ثلاثة ملايين إلى مائة ألف.

لكن لا أنا ولا الأمينة كان فى مقدورنا أن نفعل شيئاً، كان ذلك أول إحباط في عمل الصندوق.

ولم يكن في جادو المقترحة لعمل الصندوق مكانا يصلح مقرا له، فتحدثت مع الأمينة في هذا الأمر وبعد حوالي يومين اتصلت وقالت لي أن (القايد) يقو لك اتصل بـ (امحمد زكري) وهو يحل لك المشكلة في الجيش وعضو في القيادات الشعبية الاجتماعية ففعلت وبعد العديد من الاتصالات وعلى الرغم من أن في جادو مدينة جديدة كاملة بقاعاتها ومسارحها وفنادقها وفيلاتها إلا أن الصندوق لم يخصص له سوى مكتب متواضع كانت تستخدمه مؤقتا الشركة التى نفذت مشروع مدينة جادو الجديدة.

وبالمناسبة فأن هذه المدينة هي مدينة عصرية مقامة على أحدث طراز ومتكاملة المرافق ولكنها ظلت مهجورة لعدة سنوات ولا يعرف أحد من وراء فكرتها ولا كيف تم تنفيذها ولماذا ظلت مهجورة هكذا.

ولم تخصص ولم يوزع مساكنها وكل من تسأله من المسؤولين لا يقدم لك جوابا شافيا،

وعندما تم افتتاح الصندوق رسميا ودعوت لهذه المناسبة عددا كبيرا من الأدباء والكتاب والمثقفين من كل إنحاء ليبيا اخذوا كلهم عنى الحكمة فى اختيار هذا الموقع النائي مقرا للصندوق فكنت اجيبهم بسخرية:

- **طول عمركم تتكلمون عن (الفضاء الثقافي) ها هو الفضاء أمامكم يلا هرولوا فيه!.**

لكل هذه الملابسات كنت مستعجلا على قرار الثقافة والخروج من كل هذه الغمامات وهذا ما حدث في عام 1997.

مذكرة هامة لمعمر القذافي عن هموم الوطن

بعد أن تقاعدت ازداد ارتباطي أكثر برابطة الأدباء والكتاب فكنت أتردد عليها يومياً صباح مساء، وذات يوم بينما كنت في الرابطة أتصل الأخ عبد الرحمن البدوي الذي كان رئيس مكتب العلاقات العامة بالقيادات الشعبية الاجتماعية وأبلغني بأن المنسق العام للقيادة يطلب اللقاء بك، قلت له ليس لدي سيارة قال أنا آتي إليك الآن، انتظرنه في الرابطة فقد مر اليّ وأخذني لمقابلة المنسق العام.

كان المنسق العام حينها هو ضابط الجيش (سليمان محمود) وعندما دخلت عليه وجدت عنده ضابطين كنت اعرفهما من قبل هما مصباح العروسي والمهدي العربي، وبعد أن رحب بي سليمان محمود عرض عليّ أن أكون مستشاراً إعلاميا بالقيادة لكن سليمان محمود أخذ يتحدث في أمور كثيرة وظهر لي أنه رجل مشوش ينتقل من موضوع إلى موضوع ولا يركز بالقدر الكافي عن أي موضوع يتحدث فيه.

بعد ذلك طلب رأيي في هذا العرض وهو يقول: سنوفر لك مكتبا مريحا وسيارة والعدد الذي تطلبه من الموظفين ولا نلزمك بالحضور اليومي بل نترك لك الحرية في حضورك وانصرافك.. قلت له دعني أفكر وسأرد عليك بعد أيام قليلة وانصرفت وأعادني إلى الرابطة نفس رئيس العلاقات السيد عبد الرحمن البدوي.

وفي السيارة التفت لي السيد عبد الرحمن وهو يضحك ويسألني عن رأيي ففهمت من ضحكته أن له نفس الانطباع عن سليمان محمود المشوش.

ولم اتصل بالقيادة الشعبية طوال وجود سليمان محمود بها وغادر سليمان محمود القيادة وحل محله كمنسق عام ضابط آخر بالجيش هو الهادي مفتاح، واعاد عليّ الهادي مفتاح نفس العرض فقبلت لأنني أعرف الهادي مفتاح منذ اليوم الأول لحركة سبتمبر وهو

كان أخلاقيا فعندما باشرت العمل في القيادة أخذ يقول للموظفين أن السيد كامل ومذيعي الإذاعة كانوا هم من علمنا كيف نكتب البلاغات التى كنا نذيعها للشعب في الأيام الأولي (للثورة) فقد كنا في ذلك الوقت ضباطا صغاراً ولا نعرف كيف نحرر البلاغات بلغة سليمة وأسلوب لا تكون فيه محاذير.

باشرت عملي وفي احد المناسبات بالقيادة التقيت بسليمان محمود فباشرني بالقول (مابيتش تخدم معاي على خاطر أنا شرقاوي وقبلت مع هذا الغرباوي يشير إلى الهادى مفتاح) فرد عليه الدكتور سليمان الشويت بالقول (عيب عليك الأستاذ كامل لا يفكر بهذه الطريقة) وكلمة سليمان محمود تدل على انطباعي عليه كان في محله..

لكن النقطة التي اريد أن أصل لها في هذا العرض وأعتقد أنها نقطة توقف هامة حدثت عندما تولى الضابط سيد قذاف الدم مهمة المنسق العام.

وسيد تربطني به علاقة قديمة فوالده الحاج محمد رحمه الله كان زوج اختي في يوم من الأيام قبل الثورة، ثم تربطني به من ناحية أخرى وشائج الثقافة ، فهو كان كاتبا موهوباً قبل أن تعترضه تلك المشاكل التى واجهته في حياته والتي تحدث عنها باستفاضة لصحيفة ليبيا الجديدة بعد قيام ثورة 17 فبراير، ولذلك كنا دائما نتحدث حديثا حميما وصريحا حول مشاكل الوطن..

وفي أحد الأيام بينما كان هو في سرت وكنت أنا في طرابلس اتصلت به وقلت له يا سيد سأبعث لك بالفاكس مذكرة فأرجوك أن تقف بنفسك على الآلة وتستقبل المذكرة حتى لا يطلع عليها أحد غيرك لقد طبعتها على الآلة بطريقتى الخاصة، فإذا وافقت عليها أرسلها باسمك الى القلم أي إلى معمر القذافي، وكان الأمر كذلك، وبعد أن أرسلت له المذكرة اتصل بي وقال لي المذكرة هامة ووقعتها بدون أن أغير فيها حرفا، وطبعا ليس المهم ما ورد في مقدمة تلك المذكرة من تبجيل وإطراء لمعمر فتلك الأمور من مقتضيات الحال ولكن المهم ما في صميمها من مصارحة حقيقية بهموم البلد، وكنت بالطبع أتصور وأنا أحرر تلك المذكرة أنها ستحمل اسم سيد قذاف الدم إذ يجب أن يخاطب القائد بتلك الطريقة.

وسأورد هنا أهم البنود التي جاءت فيها والتى تمس مشاكل البلاد مع تقديري لسيد قذام الذي وافق عليها وحملت اسمه بمعنى أنه يشارك مشاركة جادة وبمسؤولية فى المصارحة مع معمر بقضايا الوطن.

مختصر المذكرة

1 - مستوى **الدخل متدني لدى السواد الأعظم وأساس البلية** هو القانون رقم (15) سيء الذكر وسبب التذمر وهم يتساءلون بمرارة عن الحكمة من الإحجام عن معالجة المرتبات واستمرار هذا التضييق رغم مضي ما يزيد عن عشرين عاما أو أكثر رأت من التقلبات وارتفاع الأسعار واتساع مطالب الحياة اليومية ما تشيب له رؤوس أرباب الأسر وأصحاب العوائل.

2 - هناك أمام **فرص القطاع الخاص المحدودة** قوانين ضرائبية مركبة وملاحقات وتضييق بيروقراطي مشين والأمر الذي جعل الكثيرين يهجرون هذا النشاط ويعودون إلى البطالة مما يشكل عبأ اجتماعيا مرهقا.

3 - وهناك انهيارات كاملة في قطاع التعليم وقطاع الصحة، وهما المكونان الأساسيات لبنية المجتمع رغم ما ينفق عليهما من أموال طائلة من خزينة المجتمع وهذا الخلل استفحل إلى حد أنه أصبح محل شكوى يومية بين الناس.

4 - أن **التوسع في تشجيع القطاع الأهلي وتحريضه** على المشاركة في حركة التنمية اتجاه استبشر به الناس ولكن للأسف قفز الحد أن على الوكالات التجارية وشركات القطاع العام المطروحة للتمليك، أما قطاع المقاولات فهو ضحية للمنحرفين والمرتشين وديناصورات الفساد مما يهدد العملية كلها بالفشل إذا استمرت على هذا المنوال.

5 - وهناك **فى الوسط الثقافي** شكوي من المصادرة والوصاية على الرأي وقفل الأبواب أمام إنسياب الكتاب والصحيفة، أمّا اللجوء إلى وسائل الاتصال الالكترونية فليس ميسوراً لكل الناس فضلا عن سلبيات التى لا تحصى، والمثقفون الذين اتصل بهم يجمعون على أن هناك رعاية للثقافة وتوجيه بحرية الرأي ولكن هناك حلقة غير مرئية من الذين يدعون الوصاية على الناس تقف في الطريق بين هذا الموقف وبين الممارسة على أرض الواقع.

6 - **قضية الشباب** إحدى المعضلات محل الشكوى ومشاكل الشباب إلى جانب البطالة فهي غياب وسائل الترفيه في الحياة، والشباب بين غولين كبيرين أما الانضمام إلى تكتلات ظلامية تتربص بهم أو غول المخدرات المرعب وبين هذا وذاك ليس هناك مفر أمامهم إلا أعمدة النور في الشوارع، وهذه قضية يجب أن نتوقف عندها بشجاعة، فالترفيه في مجتمع عصري بما في ذلك دور اللهو ونشاطات لسد الفراغ ليس عيباً وبدون انحياز رجعي.

عندما كانت هناك وسائل لهو وبديل عن المخدرات لم يكن المجتمع الليبي يعرف حتى أسماء المخدرات كانت هناك (مشارب) وهذه قضيتها بين الإنسان وربه، وكانت هناك دور لهو متعددة والشباب يفرج فيها قليلاً عن طاقاته المكبوتة وتنشط حيويته فيما بعد ويعود للعمل والإنتاج منشرح النفس.

وإذا كانت (الثورة) تقدم طرحاً تقدمياً فأن البيروقراطية تمارس ممارسة رجعية بحتة إذاً ما الفرق بين المجتمعات الرجعية مثلاً في الحياة العامة والمجتمع الليبي..

ومع ذلك فالمشروع الثقافي ليس واضحاً الآن ولقد أطلق بعض المثقفين على أمانة الثقافة أمانة شفوية أي بمعني وعود بدون حصيلة على ارض الواقع، والثقافة تحتاج الى مشروع مكتوب ومبرمج يشارك في وضعه المثقفون ويتسع أفقه لاحتواء كل الأطياف بدون توجس من أحد.

والناس تتطلع الى مزيد من الانفتاح الى العالم برؤية واعية ومسؤولية فليس هناك من يريد تغيير الثوابت أو التجاوز عن المبادئ ولكنهم وخاصة الذين التقيت بهم أن (الثورة) أن الكلمة عندما تفهم بوعي فهي ليست انقلابا فإذا كانت الصين مع انغلاق نظريتها وتحجرها أحياناً تقبل الآن على هذا الانفتاح فما بالك ببلادنا؟.

هذا أهم ما جاء في بنود تلك المذكرة التى وقعها سيد راسلها فورا باسمه للقلم وأنا لا ادعي أنها اختراع من عندي وحدي ولكنها خلاصة المناقشات التى كانت تدور بيننا فى قاعة الشعب.

هوامش ليست في الهامش

كدت أكون واحداً من الخلايا التى شكلها القذافي التى شكلها للقيام بحركته فقد التقيت بالمرحوم خليفة التكبالي وكان قد انظم للجيش حديثاً، وكنت أعرفه من قبل عاملا في احدى محطات البنزين وكاتبا يكتب القصة القصيرة، وكان ذلك اللقاء قد جرى في مقهى وبار الاورورا في ميدان البلدية (الجزائر) وما أن جلسنا معا حتى أخذ يحدثني من بعيد لبعيد عن امكانية أن يقوم الجيش بحركة لقلب نظام الحكم.

ولكنني قلت له بدون تردد الجيش الليبي هزيل وقيادات أو أصحاب الرتب الكبيرة فيه يبدو أنهم كلهم موالون للنظام وإذ حاول هذا الجيش القيام بحركة فستكون حركة انتحارية ثم أنك يا خليفة حديث العهد بهذا الجيش ومازالت لا تعرف بكويناته الداخلية رغم ذلك لم يشر من قريب أو بعيد إلى أي تنظيم داخل الجيش.

ولكن بعد هنيهة قال نلتقي في المساء لنكمل حديثنا ثم انصرف والتقينا ليلا في نفس المكان ولم يتطرق لموضوع الجيش فقد كانت الاورورا ملتقي لاصدقاء كثيرين ويجلسون دائماً حول طاولة واحدة.

اقترح خليفة أن نذهب إلى بستان الورد وهو كابريه كان يملكه ويديره شخص سوداني اسمه (زاكي) من البقايا الذين جاؤوا في ركاب الجيش البريطاني جاء جلوسنا على طاولة قرب طاولة يجلس عندها نفس السوداني صاحب المحل مع بعض الأشخاص الأخرين، كان سبب ذهابنا إلى ذلك المكان هو تمضية السهرة في والاستماع إلى الفنانين الليبيين الشباب الذين بدأت أسماؤهم تلمع من حين إلى آخر منهم احمد سامي واحمد الحريري، وعندما بدأ أحمد سامي يغني أخذ خليفة يشجعه بصوت عال ويصفق له فنهره صاحب الكابريه الجالس قربنا وطلب منه السكوت بفجاجة.

فما كان من خليفة إلا أن نهض وركله بعنف بحذائه الثقيل واوقعه أرضاً، فضجت الدنيا بالصراخ واحتشد الناس وسرعان ما جاء نفر من البوليس يهرولون واحاطوا بخليفة يريدون جرجرته الى الخارج فأخذ يصرخ وهو يقول لهم أنا ضابط جيش واحذركم من القبض على قال أحد الافراد هيا إلى خارج المحل وسنستدعي لك البوليس الحربي، وخرجنا إلى الساحة التى أمام المحل واتصلوا فعلا بالبوليس فحضرت بعد حوالي نصف ساعة سيارة اندروفر وبها جنود بلباس الرسمي وأخذوا خليفة التفت لى قبل أن تنطلق السيارة ولا يهمك مش حايدورولي شي وسنلتقي مرة أخري لنتحدث.

ولم نلتقي بعد ذلك ابدا فقد دخل المستشفي لاجراء عملية إزالة الزائدة الدودية ولكنه توفي وهو تحت العملية، واتضح فيما بعد أنه كان من تنظيم الضباط الذين تسموا بالوحدويين الاحرار، وقد سميت باسمه ثكنة التدريب المعروفة في طريق المطار.

وعندما قامت الحركة تذكرت تلميحات خليفة المبدئية، ولست أدري ما إذا كان ذلك من حسن حظي أم من سوئه أو ما إذا كنت سأنضم أم لا إذا فاتحني في الأمر..

■ **ايه دنيا!!.**

●●●

وفي ذات مرة عندما كنت في صحيفة الزحف الاخضر كان هناك اجتماع مصغر لبحث ترشيح مستشار ثقافي لسفارتنا في يوغوسلافيا فمال على الصديق رجب بن طالب السكرتير الاداري للصحيفة وقال لي (تمشي أنت) قلت له أنا لا استطيع فأبنائي لا يزالون صغاراً وهذا بلد أجنبي فظروفي أذن لا تسمح، دعها لمرة أخرى فقال ساخراً ايح أن الحظ لا يطرق بابك مرتين فرددت عليه قائلاً أن شاء الله لاطرق!.

● **وضحكنا بسخرية.**

●●●

وخطرها على القراءة والعصامية في المعرفة كانت شركة النشر قد تعودت أن تحيل إلي بعض مخطوطاتها قبل النشر للتقويم وابداء حال الرأي وذلك ضمن لجنة من المثقفين تقوم بهذه المهمة وكنا نشترط الا تذكر أسماؤنا للمؤلفين سواء أبدينا رأينا بالموافقة على النشر أو عدم النشر، وذات مرة أحيل إلي كتاب عن تاريخ الاندلس والادب والفن

الاندلسي فابديت حوله عدداً من الملاحظات وفي يوم من الأيام وجدت شخصا عربيا يسأل عني في رابطة الادباء والكتاب ولما قابلته قال لي أنا صاحب كتاب كذا جئت أشكرك على ما ابديته من ملاحظات فقلت له من أخبرك بأنني أنا الذي راجعت المخطوط قال لي لقد عرفت بطريقتي الخاصة.

ولعلمك يا أستاذ كامل أن هذا الكتاب هو رسالة ماجستير وقد ناقشتها عدد من الدكاتره واجازوها بتقدير جيد جداً ولم يتنبه أحد منهم إلى الملاحظات الأساسية التى انتبهت أنت إليها، قلت له ياعزيزي أنا أرحم من قرأ وورا فأنا عندي من الشهادات شهادة أن لا اله الا الله والشهادة الابتدائية فضحك وهو يكرر شكره لقد انقدتني من هفوات كبيرة.

●●●

توقع مشؤوم ظل يواجهني به عدد من الاصدقاء لعدة سنوات، وعندما أقول الاصدقاء فأنني أعني أصدقاء، ورشة نوري الشويشين رحمه الله بشارع الوادي وهذه المجموعة التى نلتقي كل ليلة هناك للسمر والمناقشة حول امور الدنيا تضم العبد لله والمرحوم محمد احمد الزوي ويوسف الشريف وامين مازن والكشالفة لسيلمان ومحمد الصديق وعلى حمزة وبشير القنين وعدد قليل من آخرين وهؤلاء ربطتهم صداقة نموذجية حيث دامت لسنوات طويلة ولم تنفصم وهي ما تزال قائمة رغم أن القدر قد غيب عدداً منهم نرجو من الله أن يكون مثواهم الجنة وأما ذلك التوقع الذي كان مشؤوما فهو قد عبرت عنه عندما حلت الذكرى (18) لحركة القذافي - التى سميت بعد ذلك ثورة - فقد أخذ كل منهم يتوقع نهايتها مستندا إلى أن كل الحركات المماثلة لم تعمر أكثر من ثمانية عشر سنة ولكنني علقت بأن حركة القذافي ستستمر أربعين عاماً.. وكنت استند في هذا الرأي أو هذا التوقع إلى ماقام به القذافي من ضرب لكل الحركات الوطنية وما أخذ ينشره من رعب وأرهاب وملاحقات بوليسية فتشتت أغلب التآلفات الاجتماعية التى كانت قائمة، وعندما أخذت تلك الحركة تتمدد في أوصال ليبيا كان بعضهم عندما يلقاني يقول لي:

● **فاولتلنا ؟!.**

أي بمعني تفاءلت لنا سوءا، ولكن هذا ما كان.

■ **ايه دنيا..**

●●●

في عام 1952م وكان عمري إذ ذلك سبعة عشر عاماً ذهبت إلى هون لأقضي اجازة الصيف لدى أخي المرحوم لامين عراب الذي كان أحد موظفي الارصاد الجوية هناك.

وكان هناك في هون نادي اجتماعي فانتهزت الفرصة واسست لهم جريدة حائطية تتناول مختلف المواضيع الاجتماعية فى تلك النواحي.

وفوجئت عندما اقيم مهرجان الشعر في هون في أحد سنوات نشاط رابطة الابداء بوجود أحد الأشخاص فقال لي بإنه مازال يحتفظ باحد اعداد تلك الصحيفة الحائطية ولم أفلح في اقناعه بأن يعطيها لي فهي تشكل ذكرى جميلة وقد كان هناك شباب في سني من هم يشتعلون نشاطاً وحماساً شاركوني في تحرير الاعداد القليلة من الجريدة، وأنا مهمل جداً في ناحية التوثيق والاحتفاظ بالأشياء المهمة.

●●●

وعندما جاءت السيدة أم كلثوم لاحياء حفلة في طرابلس بترتيب من السيد عبد الله عابد السنوسي منقولة على الهواء من الاذاعة تقرر أن أكون أنا والصديق محمد التركي المذيع وكبير المذيعين محمد السفاقسي وأقيم مسرح الحفل في نفس الخيمة الكبيرة التى فيها الجمهور تم ترتيب طاولة للمذيعين إلى جانب المسرح الذي أعد لتقف عليه السيدة الكبيرة، ذهبنا للسلام عليها ثم عدنا لنأخذ مكاننا المرتب اذاعيا وعندما جلست أنا على الكرسي أمام المايكروفون جاءنى شخص مصري لاهثا وهو يقول:

● **بتعمل إيه ذا مكان مذيع الست..**

قلت له أي مذيع:

● **الله الاستاذ جلال معوض.**

قلت له ليس لدينا مذيع اسمه جلال معوض فكاد الرجل يغمى عليه ما بتعرفوش مذيع الست؟.

قلت له ياسيد أنت في ليبيا وهذه الاذاعة الليبية وأنتم ضيوفنا وجلال معوض اللى بتقول عليه ع العين والرأس فترتب له مكانا بقربنا ويااللا متأخرناش، بُهت الرجل وبعد أن انصرف فوجئت بأن ممثل الجزائر الذي كان يجلس قريبا في الصفوف الأمامية ويتابع المشهد يأتي ويربت على كتفي قائلاً (صحيت هكا الرجال).

وبدأ الحفل وبدأت أنا أصف حفل أم كلثوم ويبدو أنني انسجمت في الوصف والحديث

عن أم كلثوم حتى أنني عندما اومأت إلى الزميل محمد التركى بأن يأخذ دوره أشار إلى بأن استمر وهو ينصت لما أقول.

وكان الفنان الراحل محمد حقيق من عشاق أم كلثوم ويفضل أن يسمعها من الراديو على أن يحضر حفلاتها مباشرة، وعندما التقينا قال لي أسمع لقد انقل مؤشر الراديو عند بداية الحفل بين اذاعة القاهرة واذاعتنا واشهد الله أنني انسجمت معك أكثر من انسجامي مع جلال معوض، وليس هذا تفاخراً على كل حال فجلال معوض أقدم مني في المهنة وهو مشهور على مستوى الوطن العربي أما أنا فمشهور على مستوى جنان النوار!.

ولقد ذكر لي الصديق محمد الصيد صفر بأنه يحتفظ بتسجيل لتلك الحفلة وأيضاً رغم ترجياتى فلم يعطني الشريط ولم يعره لي على الاقل لاحتفظ بنسخة منه.. اهمال اهمال!.

●●●

نموذج من الدفاع عن حرية الكلمة أيام القذافي نشر في مجلة الملتقي التى تصدرها القيادات الشعبية (العدد 9 ابريل 2005م) وذلك عندما مُنعت مجلة عراجين وهى مجلة ليبية تصدر من القاهرة من دخول ليبيا وتم ذلك بمكر حيث لم يكن هناك قرار منح مكتوب ولكن كان هناك ايعاز وتوجيه وهما اقوى من القرار، وهذه المقالة مجرد نموذج.

هامش في الهامش

في عام 2008 داهمني المرض وسافرت لألمانيا للعلاج، ولقد غمرني الزملاء الكتاب بعواطفهم الجميلة وتمنياتهم الطيبة خلال سيل الاتصالات التي كنت اتلقاها وانا هناك، ولم يقتصر الامر عند هذا فقد كتبوا عني بافاضة اخجلت تواضعي وفي هذه الصفحات الملحقة انتقيت بعض تلك المقالات علها تساعد القارئ الكريم في مزيد من معرفة بي خلال رحلة خمسين سنة، انشرها دون حتى استئذن اصحابها غصبا عنهم يحبوا ولا يكرهوا.

بعض ما يجب أن يقال

■ كامل عراب

مجلة الملتقي العدد (9) ابريل 2005 م

حتى هذه اللحظة لا أجد سبباً وجيهاً واحداً يؤدي إلى الحيلولة دون تداول مجلة عراجين داخل الجماهيرية، وإذا كانت هذه المجلة نشرت شيئاً لا يروق للذين كانوا سبباً في هذا الموقف فإن المسائلة تصبح عندئذ شخصية مزاجية، والمزاج الشخصي لا يجب أن يتحكم في عقول الناس وشغفهم بالمعرفة والقراءة،

ولقد قرأت حتى الان كل الأعداد التي صدرت من هذه المجلة فلم أجد منها ما يشكل مبررا لرفضها وعلى العكس من ذلك تماماً فهذه المجلة أفلحت في أن تحشد عدداً من الأقلام الليبية الجادة وأن تطرح للحوار قضايا في غاية الأهمية، وإذا كانت هذه القضايا مسكون عنها في الإعلام الرسمي فإن هذا لا يعني أن حق إبداء الرأي وفتح أفاق لديمقراطية رائدة وحق القول وإعلاء الصوت في فضاء ثقافي نقي، وعراجين مثلها إنها تتمتع بهذا الأفق فهي لا تصادر حق الاختلاف على صفحاتها ومن حق الذين يختلفون معها ومع مادتها أن يقولوا ما يشاؤون ما دامت الكلمة مسؤولة ومتجردة من الأهواء الشخصية والشطط في تفسير الكلام والباسه أثواباً على مقاسه، وتجربة عراجين تجربة تستحق أن يحترمها الانسان وهي منبر يتمتع بجرأة في فتح النوافذ لتسمح بتدفق الشمس بعيداً عن الوشوشة في الخفاء أو التداول حول القضايا الهامة في حياتنا خلف جدران مغلقة، وهذا ما نريده جميعاً، نريد أن يرتفع صوتنا بدون خوف أو مراوغة أو نوايا مشبوهة تشين المعمار الفكري والثقافي والأدبي الذي نحاول بناءه بحرية..

والذي يضر بنا حقيقة هو النفاق والكذب وإعلان كلام في الظاهر يختلف مع ما هو الباطن والتزييف..

لا أحد عندما يقول كلمته بشجاعة ومسؤولية يريد أن يفرض الاقتناع بهذه الكلمة بحد السيف وربما على العكس من ذلك تماماً هو يريد أن تكون هذه الكلمة محل جدل سعياً وراء الوصول إلى الحقيقة أو قناعة مؤسسه على الاختيار الحر والصفاء والشفافية.

ونحن نريد أن نبني ثقافة متخلصة من الاتهامات الجزافية ومن الشكوك ومن الطعن والتأويل ومن الافتراء على الآخرين، وأنا شخصياً على سبيل المثال اختلف مع بعض الأفكار والآراء التي طرحت على صفحات المجلة ومع ذلك كنت سعيداً بها لأنها فتحت أفقا بهذا القدر من الحرية فأصبح حق الاتفاق أو الاختلاف متاحاً بلا رياء.. وأنا وإن كنت لا أعرف من هو الذي يعرقل تداول مجلة عراجين إلا إنني أطالب بإعطاء الحق لهذه المجلة في أن تصل إلى أيدي القراء في ليبيا، والقراء والكتاب والمثقفون هم وحدهم من يملك حق اقتنائها أو الإعراض عنها..

وهذا الرأي ينسحب على كل مجلة غيرها، فمبدأ المصادرة أو المنع مبدأ بائد أمام تدفق المعلومات وانتشار وسائل توصيل المعرفة والوصول بالكلمة حتى إلى مخادع النوم.. لقد أصبحت سوق الكتاب والصحيفة في ليبيا سوقاً ممحلة يدخل المرء إلى مكتبة في شوارع مدينة طرابلس أو بنغازي يفتش عن صحيفة محترمة أو كتاب حديث فيخرج وهو يضرب رأسه في الحائط ضيقا وامتعاضا من هذا العزل الذي لا مبرر له سوى مزاج الأشخاص الذين لا تتجاوز نظرتهم للامور موضع أقدامهم!!.

وعن مجلة عراجين فالغريب أنه لا يوجد قرار رسمي مكتوب يمنعها من التداول وإنما هناك إيعاز فردي خفي حال دون دخولها إلى الأسواق الليبية، وبودنا أن تقوم الجهات المسؤولة بالتحقيق في هذا الأمر، فكل قرار يمس الثقافة سيلصق بها في النهاية ولذلك فهي مطالبة بأن تبرئ نفسها إذا كانت برئية!!.

صمت الكلام ..

يرجوك التمهل يا أبا محمد

■ إخلاص الزغرات

أويا.. 2009/10/19 م

لا يزال فنجان قهوتي يناديك وحكاياتي المجنونة التي تنظرها وغضبي من الزملاء الأشقياء الذين طالما أجبتهم وهم يحيكون لي المكائد الغبية والافتراضات التي لا تصدق كاستغلال لزملائي المحررين وعن حجبي لتحقيقاتهم واستغلال المبدعين منهم ليكتبوا لي تحقيقاتي الصحفية ولأنك أنت بالذات تدرك تماماً بطلان ذلك توجهت إليك بهدوء مجنون وأنا أؤكد قائلة: أعرف أني لست فريدة النقاش ولا سعاد الصباح ولا مي زيادة وو.. وأصف طابور المبدعات في وجهك وأنا أجهل تماماً أني أمام (كامل عراب).. (ابن الرجبان) التي انجبت الجيلاني طريبشان الذي حفر اسمه في ذاكرة ليبيا كأهم مبدعيها.

عندما اعترضت قامتك.. ذات مساء لتسألني ماذا تفعلين هنا؟ فأجبت انتظرك.. لتعود أدراجك إلى مكتبك وتقطب جبينك لتقول لي ممازحا كعادتك أنا راجل مشغول وعندي التزامات لم تعبأ دموعي بهذا المزاح المكرر لكل الذين تحبهم انفجرت الدموع المكبوتة في مقلتي وسردت لك أخبارا جديدة عن سذاجاتي المعتقة بالهروب ومن عفويتي وتحشرج صوتي وتلعثمت وأردت الصراخ وقلت أشعر بالإهانة حقا.. وعندما أدركت أنك أمام طوفان حقيقي وأن ثورة حقيقة تجتاح رتاباتي.. رفعت سماعة الهاتف الداخلي للصحيفة لتطلب لي كأس ماء معطر وقهوة عربية كما نحبها بدون سكر..

وفي محاولاتي اليائسة لمنعك من إخراج علبة سجائرك كما المعتاد وتقول لي ببساطة (مافيش حد يموت قبل وقته) تراوغني وأنا أرجوك أستاذ كامل (أرجوك لا تدخن كثيراً.. ترمقني بنظرة غريبة.. وتسألني عن محمد.. لأجيبك إنه رائع إنه أخي الأصغر وتهمس لي): ردوا بالكم من بعضكم لقد أرعبتني تلك الجملة المدججة بالأدعية والأماني والنصائح التي اعتدت أن تصلني منك أنت بالذات ولأول مرة شعرت أني أتحدث مع أبي فتوقفت عن النحيب لأني وبكل بساطة أدركت أمراً جللا.. أكبر من تفاهتي.. وماذا لو أعلن الزملاء إقصائي؟ .. وماذا لو استفاد الآخرون من سذاجاتي؟ وماذا لو أن أحداً منهم وصفني بالسلحفاة دون أن يدرك أنني أعشق وأحترق من أجل قلمي لقد بدوت لي متعباً لكني رجوتك بكل الادعية أن تتمهل قليلا أيها القامة السامقة لا تُمل حروفك التي تتراصف على صفحات (أويا، والجماهيرية، والعرب) تمهل فمازال في الوقت بقية ومازال المشروع الذي أحببته أويا يستنشق أكسجين الحب ومازلت أحب أن أفتح صحيفتي وأرى عزف كلماتك.. مازال عندي من النواح ما يجعلك تتمهل.. وعندي من الحكايات ما يجعلك تقهقه كثيراً وعندي وعندي، شوق عارم إليك، واحتياج كبير لأنهل من حكمتك ومحمد يرغب في الصراخ الآن بالذات ليقول لك لم يكن غيابك ممكناً وحضورك بهي وساحر.. تمهل حتى يكون للكلام بهجة.

حبر على ورق

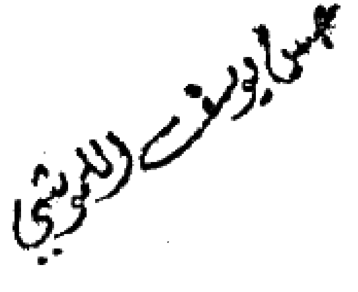
■ عبد الرحمن محمد
أويا 2009/11/01 م

أليس كل ما يكتب هو حبر على ورق بصرف النظر عن أهميته من عدمها.. إذا إليكم هذه القطرات على الورق.

شكراً .. أستاذ كامل عراب

الأستاذ كامل عراب أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية وبالمزيد من التألق والقدرة على العطاء هو إعلامي كبير تتلمذ عليه جيل من الإذاعيين من دون أن يمارس معهم الدور التقليدي للمعلم فهو بما وهبه الله من صوت رخيم مميز وأسلوب خاص في الإلقاء وقلم سلس العبارات واضحها كان ومايزال مدرسة لمن يريد أن يتميز في مجال الإعلام عموماً وفي العمل الإذاعي بشكل خاص، وقد كان لي شرف التعرف عليه وأنا أخطو حطواتي الأولي في ممرات الإذاعة قبل أربعين عاماً أتلمس الطريق الى حجرة البث لمصافحة المستمعين والمستعمات عبر لاقط الصوت (المايكرفون) الذي يبادل من يحبه ويتفانى في حبه حبا بحب يتجلى في تقدير المتلقين لعطائه وتشوقهم للقائه، والأستاذ كامل عراب ذلك المبدع الذي يقدر المتلقين حق قدرهم فكان القدوة بالنسبة لي هو ومجموعة الأساتذة الذين حظيت برعاياتهم وتوجيههم وتشجيعهم لي وأنا في بداية الطريق، وكنت أتمني أن أكتسب بعض ما يميزه من قدرات وطدت العلاقة بينه وبين المستعمين والمستعمات من خلال برامجه المتنوعة والزاخرة بما يفيد ويمتع ومن الطريف أن من لا يعرف الأستاذ كامل عراب عن قرب قد يظن (وإن بعض الظن إثم) أنه لا يعرف الابتسام ودائم العبوس والتجهم، ولكنه سيكتشف أنه إنسان ودود محب للفكاهة الراقية التي يقتضيها الموقف، وكم كانت وما تزال ممتعة وغنية بالفائدة لقاءاتي به حيث تتخللها حوارات حول مختلف

المواضيع وتغمرنى السعادة عندما أعلم أنه يتابع ما أكتبه في صحيفة أويا التي أتابع بشغف ما تتضمنه زاويته (كلمة وبضعة حروف) التى تنبض بالصدق والصراحة والموضوعية، وكم كان رائع التعبير عن الوفاء والتكريم ولو بالكلمة (والكلمة الطيبة صدقة) في زاويته عن العصامي النموذج (رجب الوحيشي) الذي كنت من بين رواد مكتبته لسنوات طويلة ومازلتُ كلما سنحت الفرصة، وكم أسعدني اختياره لي لتقديم برنامجه الرائع (طابت أوقاتكم) بالتبادل مع الزميل المرحوم (محمد كشلاف) لما كان يتضمنه من تناول نقدي هادف وبناء لمختلف المواضيع والقضايا الاجتماعية والثقافية، ولتميز اختياراته الشعرية التى يختم بها البرنامج حيث تعلمت من خلالها مبادئ القاء الشعر واختيار الموسيقي المناسبة، هذه بعض مشاعر الامتنان والوفاء والتقدير لأستاذ فاضل ومبدع متميز كان له التاثير الايجابي المفيد على مسيرتي الاعلامية المتواضعة أمام مسيرته الزاخرة بالعطاء الذي لن تفيه حقه زوايا عديدة بل ومقالات عدة.. شكراً أستاذ كامل عراب ومتعك الله بالصحة والعافية وطول العمر..



صمت الكلام ..

خمسون عاما من العطاء

● أبو القاسم المزداوي

مجلة البيت السنة (43) العدد (10)
التمور 1377 – اكتوبر 2009 م

الأستاذ الأديب كامل عراب هو مجموعة من التجارب الطويلة والنوايا الحسنة رغم أن الاقتراب منه يتطلب استعداداً خاصاً لسبر أغوار هذه الشخصية التي تبدو غامضة في الظاهر خصوصاً وهو يتقن وبذكاء شديد وبسرعة بديهة المزج بين الهزل والجد ما جعل الكثير من الأدباء الشباب الذين كانوا يتوافدون على مقر رابطة الأدباء والكتاب في فترة الثمانينينات وأوائل التسعينيات يتفادونه خشية من تعليقاته الساخرة والجادة في آنٍ حيث يبدو للعديد من هؤلاء بأنه شخصية صعبة يتعذر التعامل معه بالشكل الذي كان سائداً بين الأدباء والكتاب على مختلف أعمارهم

وذلك نتيجة الآراء بالدرجة الأولى في الكثير من القضايا الأدبية سواء أكانت عامة أو الخاصة والتى تخلو من أي نوع من المجاملة بل وقد تبدو قاسية جافة تماماً وعلى الأخص بالنسبة للشباب الجدد أصحاب التجارب الجديدة التي تحتاج إلى بعض المجاملة والكثير من اللين والترفق حتى أن العديد منهم كان عندما يحظى بمصافحته ودون خوض أي حديث معه يعتبره إنجازاً ساعده في ذلك ملامح شخصيته التي تبدو في الظاهر عكس ما يبطنه هذا الرجل من طيبة وحسن معشر استمر هذا الأمر على هذا الحال طويلاً حيث

فضل العديد من الشباب الابتعاد كلياً عنه وعدم التفكير في الاقتراب منه حتى انكشفت حقيقته الشخصية الرقيقة المفعمة باللطف والود ذلك عندما تناول أستاذنا كامل عراب وهو الناقد الجاد ديواناً شعرياً لاحد هؤلاء الشباب بمقالة نقدية أشاد فيها الأستاذ كامل عراب بتجربة جيل من الشباب الواعد من خلال ديوان هذا الشاعر والتي كانت تمثل الأمل القادم والجانب المضيء في تجربة الشباب الليبي الواعد كما قال الأستاذ كامل عن هذه التجربة في ذلك الوقت.

أما على الصعيد الشخصي فقد عرفت الأستاذ كامل عراب في أواسط الثمانينيات ولقد وجدت بعض الصعوبة في التعرف عليه والاقتراب منه في البداية ولكنني وجدت فيه الصدق والنقاء والحس النقدي المرهف الذي كان يترجمه على الورق بحساسية حالية ولكن اللقاء المهم الذي مازال لم يفارق ذاكرتي هو لقاؤنا به ذات ليلة بفندقٍ تبستي تحدث فيها الناقد الجاد كامل عراب عن التجربة الشعرية الليبية الحديثة باستفاضة وإسهاب كنت ومن معي مشدوهين بما نسمع من هذا المبدع ونحن غير قادرين على سؤاله أو مقاطعته فيما يتعلق بالكثير من الآراء التي قد نختلف معه فيها بسبب الخشية الكامنة في نفوسنا جراء وجهة النظر التي كنا نحملها عنه من جهة واستحساننا لما كنا نسمع في تلك اللحظات من آراء في مجمل القضايا الأدبية والثقافية التي يتوافق الكثير منها مع وجهة نظرنا ونحن الذين كنا نعتقد بأنه لا يؤمن بمثل هذه الأفكار نظراً للمسافة التي كانت تفصله عنا نتيجة طبيعة العلاقة التي كانت تربطنا به.

لقد عبر لنا بنظرة العارف والمحيط بالتجربة الشعرية الليبية عن سعادته بما وصلت إليه هذه التجربة من مستوى يضاهي وأحياناً يتفوق عن الكثير من التجارب الشعرية في الوطن العربي ورغم الاطالة فقد كنا سعداء بما نسمع حتى أننا لم نسمح لأنفسنا بمقاطعته حتى ساعة متأخرة من الليل بل وكنا نقول في قرارة أنفسنا ليته يستمر حتى الصباح، هذه الآراء الموضوعية والثاقبة من ناقد صاحب تجربة طويلة له وزنه في الساحة الأدبية وعلى مستوى المشهد النقدي في ليبيا كانت مبعث فخرنا واعتزازنا كما أن مثل هذه اللقاءات بين مختلف الأجيال هي التي يمكنها أن تساهم وبشكل مباشر في إثراء الحركة الأدبية والدفع بها إلى الأمام بعيداً عن المحاباة والمجاملة والبعيدة أيضاً عن التعالي والعدائية والتي يشكل الأستاذ كامل عراب أحد عناصرها الفاعلة كما يضاف لتاريخ هذا الرجل متابعته لكل ما هو جديد على الساحة الثقافية حتى أنني استمعت إليه في ندوة الشعر المحكي في ليبيا وهو يطرح فيها مجموعة من الآراء المحفزة والمشجعة لهؤلاء

الشباب على المزيد من الإبداع والمطالبة برعايتهم والعناية بهم.

هذا بالإضافة إلى أنه ومنذ عدة سنوات مازال وبشكل يومي في عديدالدوريات المحلية والعربية يتابع فيها كل ما هو جديد ويبديء رأيه بشجاعة وصراحة وموضوعية في كل القضايا المطروحة بعيداً عن الترويج لما هو كاسد والتنديد بما هو فاسد والأستاذ كامل عراب إلى جانب هذا فهو صاحب العديد من المؤلفات مساهمة منه في إثراء المكتبة الليبية حيث صدر له معارك الأمس وإنتقام الغزلان المسحورة، والكلمات، وعين على الواقع، وآراء في كتابات جديدة، ودراسات في الأدب، وبهجة الصمت.. رغبة في الكلام، وله العديد من المخطوطات التي تنتظر دورها في النشر مازال يقاتل بالكلمة منذ خمسين عاماً وحتى الآن حيث يعاني من وعكة صحية نتمنى له الشفاء العاجل والعودة سريعاً إلى قرائه ومحبيه.

- **يقول الأستاذ كامل عراب في نص (أجنحة مهيضة) في كتاب بهجة الصمت.**

رغبة الكلام

عجباً..

كيف تهجر كل العصافير أصواتها.

وتجافي الربيع

كيف تألف هذا الخواء المريع

خلسة نكصت للشفاء

نفرت شجو تغريدها فاستوى عندها

والبكاء

واستكنت لدى الظل

فاستوى عندها وانبساط السماء

إضاءة

■ محمود السوكني

أويا (1) مارس الربيع 2008 م

أستاذنا..

الوطن يحتاجك

فلا تطل غيابك

●●●

الحديث عن القامات السامقة يفضح عجزنا عن الكتابة، فالكلمات لا تطاال هاماتهم، والعبارات مهما تحايلنا في انتقائها لن تصل إلى حجم المكانة الرفيعة التي يتبوؤونها، ومهما أعملنا الفكر، واستنجدنا بكل المفردات فالفشل سيكون حتماً مآلنا، فمن كان في العلياء لاتدانيه الصغائر، وهذا اعتراف مستحق لاغضاضة في البوح به وإعلانه.

الأديب الكبير قيمة ومقاماً، أستاذنا «كامل عراب» أحد هذه الوجوه اللامعة القليلة التي تضيء سماء الأدب، ويشرق بإبداعاته على مختلف أجناسه، ويشكل في جل كتاباته إضافات متميز تحفر بضماتها البارزة، وتترك آثارها الواضحة على مسيرة الكتابة الإبداعية التي لا يمكن التاريخ المنصف لها دون الوقوف أمام شواهدها التي خطّها قلمه البديع بكل إجلال، واحترام وتقدير، وإعجاب وانبهار شديد الدهشة، باذخ الاستقبالُ يليق بقيمتها المنفردة.

عندما جاهدنا النفس والوقت والظروف ونحن نصدر الأعداد الأولى لهذه المطبوعة كان حماسه زاداً نغترف منه لنمضي وكان نشاطه الدؤوب وهو في هذه السن المتقدمة

أطال الله في عمره، يشكل تحدياً لنا يدفعنا إلى البذل، ويحفرنا على العطاء ويمنحنا الأمل في صنع ما كان مستحيلاً.

كانت قفشاته، بلسماً يزيح أحزاننا، ويخفف معاناتنا، ويصرع آلامنا، ويشيع البهجة في قلوبنا.

صحفياً بمهنية احترافية بالغة الدقة، ثرية الخبرة، عظيمة التجربة، لم تصادفنا شاردة أو واردة إلا وكان فيها القول الفصل الذي لم ينم عن خبرة عملية لأكثر من نصف قرن.

لم يكن كاتباً المعياً، وخطيباً مفوهاً، وشاعراً مرهفاً، فحسب، بل كان أستاذاً في علم الصحافة قل نظيره، أتاحت لنا هذه المطبوعة فرصة الاحتكاك به لننهل من فيض تجربته الغنية التي كان سخياً في إغداقها علينا عن طيب خاطر، وبأريحية نادرة، وعطاء دافق، وحب جارف شمل كل من تعاون معه، وحظي بمرافقته المتعة التي يجهل مكنونها من لم يتسن له معرفته عن قرب.

أستاذنا الذي يسكن الوطن حقاً كل جوارحه، يعاني هذه الأيام من وعكة صحية الت به، وحرمتنا لبعض الوقت من مؤانسته، والتمتع بصحبته، وزرع غيابه القسري جواً من الكآبة سرى في وحشية مقيتة في كل أرجاء الصحيفة التي اشتاقت أركانها لنبرات صوته الرخيم وضحكاته المجلجلة، وحنتّ جدرانها لسماع خطواته الوئيدة الحانية، وتاقت مكاتبها لحضوره الطاغي البهي الذي كان يغمرها بفيض مشاعره، وجلال إطلالته.

(لا أدّعي صداقتي بالمسؤولين، ولا أسعى إليها، ولا أنشدها، لكنني أعترف بكل زهو أن علاقة حميمة تربطني بالدكتور (محمد راشد) قبل أن يصار إلى تصعيده أميناً للجنة الشعبية العامة للصحة والبيئة، واثق كثيراً في حسن تقديره لما يمثله أستاذنا (كامل عراب) من قيمة لهذا الوطن تستحق منه إيلاءها اهتمامه ورعايته الفائقتين، وأعتقد أنه سيسارع بلا تردد إلى نجدته، وتقديم العون اللازم الذي يستحقه وإن اضطر الأمر إلى اتخاذ إجراءات إيفاده للعلاج بالخارج.

لا يجود علينا الزمان دائماًبعلاقة فارقة كالأستاذ (كامل عراب)، ولسنا على استعداد لفقدانه لا سمح الله، وأي إبطاء أو تقاعس في علاجه، أعدّه تبذيراً لثروة وطنية لا تعوض، تستوجب إنزال أقصى العقوبات بمرتكبيها والمسؤولين عن وقوعها.

و.. الوقت يمر سريعاً، والندم يلوح في الأفق، إذا لم تتداركه.

أستاذنا الجميل.. حفظك الله، وأعادك إلينا وإلى أسرتك تنشر الفرح وتعطر أرض الوطن بنفحاتك النديّة، فنحن أحوج ما نكون إليك.

نعي

■ صحيفة ليبيا الجديدة

تنعي الأوساط الثقافية الليبية

الكاتب (كامل الهادي عراب)

الذي وافاه الأجل إثر مرض عضال فجر يوم الثلاثاء الماضي 2013/02/26 م والكاتب الراحل كان يمثل قيمة ثقافية رائدة، أستطاع مع جيله النهوض بحركة الثقافة الليبية، الراحل عضو مؤسسة برابطة الأدباء والكتاب، وكذلك عضو مؤسس في الكثير من المشاريع الثقافية والصحف والمجلات.. ساهم الكاتب في الكثير من البرامج الإذاعية ومن أهم هذه البرامج (صوت الشعب) وهو برنامج يومي تناوب على تقديم كل من (كامل عراب ويوسف الشريف وأحمد إبراهيم الفقيه).

الكاتب كان مستشاراً لعدد من الصحف والمجلات الفكرية والثقافية، وتبني الكثير من الأصوات الليبية الشابة في كافة المجلات.

شكل الكاتب الراحل مع مجموعة من الرواد (علي مصطفى المصراتي، وكامل المقهور، وأحمد إبراهيم الفقيه، ويوسف الشريف، وغيرهم) قيمة ثقافية كبيرة ساهمت في تعميق وتعريف الآخرين بالثقافة الليبية، رحم الله الفقيد، وألهم أهله الصبر والسلوان وجزاه الله عن الثقافة في ليبيا كل خير.

إنا لله وإنا إليه راجعون

عراب في ذمة اللّه

■ **صحيفة البلاد**

انتقل إلى رحمة الله فجر الثلاثاء 26 فبراير 2013 م الكاتب الصحفي والأديب والناقد كامل الهادي عراب عن عمر يناهز 78 عاماً إثر مرض لم يمهله طويلاً.. الفقيد من مواليد الرجبان سنة 1935 وعمل مذيعاً في فترة الستينيات، لما كان يتمتع به من فصاحة لغوية وحسن إلقاء، ثم اتجه إلى الكتابة السياسية والاجتماعية، والنقد الأدبي، وعمل رئيسا لتحرير مجلة الفصول الأربعة، كما نشرت له عديد الكتب من بينها كتاب معارك الامس وكتاب أوقات للتأمل، صحيفة البلاد الآن تتقدم بخالص العزاء لأسرته وكل المثقفين الليبيين.

وتغمد الله الفقيد بواسع رحمته وألهم أهله وذويه جميل الصبر والسلوان وعوض الله فيه الحركة الثقافية خيرا.

إنا لله وإنا إليه راجعون

كامل عراب في ذمة اللّه

■سالم شلابي

2013/03/05

صحيفة طرابلس

أفل نجم من سماء مدينة طرابلس، وهوى على ترابها الطاهر الكاتب الكبير والإعلامي المتميز والناقد المبدع، الأستاذ كامل الهادي عراب..

ذلك الصوت الإذاعي ذو الحنجرة الذهبية الذي تميز عن غيره بطلاوة مخارج حروف الكلمة وعذوبة ما بها من سحر يجذب أسماع متلقيه عبر الأثير ولواقط الصوت، التي عاشت مع وجدانه طوال الوقت الذي كان يعطيه عشقاً، بثقافته التي تميز بها قلمه وهو يكتب المقالات النقدية والأدبية وبأسلوبه المنطلق إلى سلامة الكلمة الهادفة النابعة من عمق ما كان يمليه عليه إحساسه المرهف، كل هذا جعله لا يترك للزمن ومضة إلا وقد وضع فيه بصمته لتمر عبر كتاب يرسم بين ثنايا صفحاته صورة مثلى، لما يختزله من آراء ثقافية ونقدية، تصب في دائرة اهتمامه بقضايا أدبية يتناولها من جانب آخر على صدر ما ينشره من مقالات متميزة التي كانت تصدر بقلم أستاذنا كامل عراب في الصحف المحلية والعالمية، وعلى وجه الخصوص صحيفة العرب اللندنية فروحه الطاهرة التي عاشت بين سنة 1936 م وسنة 2013 من مولده ببلدة الرجبان ومكان دراسته غريان ونشأته ومماته بمدينة طرابلس الغرب، نسأل الله أن يرحم عبده المرحوم بأوسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه.. جنات النعيم.

في رحيل كاتب كبير

■ فوزي البشتي

صحيفة رواسي
2013/03/05

على الرغم من أننا من جيلين مختلفين، إلا أنه كان يتقبل مشاكستي بصدر رحب، حين امتدح شيخوخته وكونه من جيل لم يعبر عن سوى الخواء والفراغ وهامشية المواقف.

تعرفت على كامل عراب منذ زمن طويل، وقت أن كنت أجلس إلى المذياع لاستمع إليه وهو يقول للمستمعين (طابت أوقاتكم) أو هو يغادر مقهى (الأوورا) ليقرأ نشرة أخبار الظهيرة ثم يعود إليه ليلتقي بنخبة المثقفين الذين كانوا يتخذون من ذلك المقهى في ميدان الجزائر ملاذا يلوذون به من الملل والفراغ وكوابيس الاكئتاب التي كانت تسكن ذيول ستينيات القرن الماضي.

ومنذ أن تعرفت به، عرفت أحدى أهم حصاله: أنه شاب بطبعه، فلم تستطع ظروف الحياة الصعبة واهتزازات القد النخيل والقامة غير المتوازنة، ودقات القلب والواهنة، ونهشات المرض الغامض، أن تحجبه عن روح الشباب، روح المرح، حيث يبدو دائماً على معرفة بكيفية حوار الكائنات من حوله، وسواء كانوا صغاراً أم كباراً أم عواما. أم اشياء اخرى، فإنه دائماً يجد قواسم مشتركة بينه وبين العالم وبم بينه وبين الآخر.

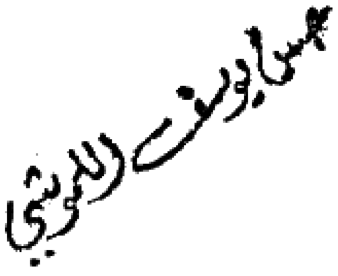
في كل مرة كنت التقيه اسمعه يتحدث عن أهمية قبول الآخر وأهمية الحوار وأهمية الشعر والفن والموسيقى والرسم والحرية.

واليوم بعد أن صعقني نبأ وفاته، قمت لتسويد صفحاتي وتبييض صفحاته، باحثاً عن الأفكار والجمل والعبارات.. عن عزاء ومواساة لموته الذي فاجأني ذات صباح حين تلقيت رسالة على نقالي يخبرني فيها أبنه أنه غادرنا إلى حيث لا لقاء.

هرعت إلى جهاز التسجيل ووضعت فيه شريطاً لا أدري لماذا احتفظت به كل هذه المدة الطويلة.. فتحت المسجل فأنهمرت نبرات صوته الكثيفة كأمطار موسمية غزيرة اهتديت إلى توثيقها ذات يوم.

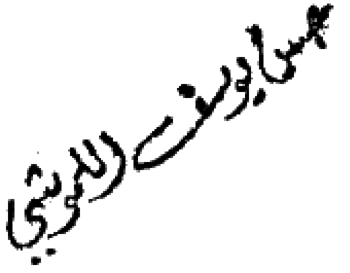
برحيل كامل عراب فقدت الحركة الثقافية في بلادنا أحد عناصرها الفاعلة، حيث حاول أن يظل دائماً في صدارتها وفي أتونها رغم أنها شهدت أبشع أيام تاريخها خلال أربعين سنة من نظام شمولي قتل الضرع والزرع. ونشر السواد والقتامة والموات في كل مكان.

رحم الله كامل عراب واسكنه فسيح جناته إنه سميع مجيب.

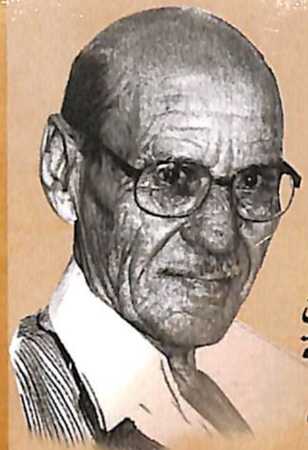


- ختام -

المحتويات



أتذكر.. أتذكر



ملامح من
سيرة ذاتية

كامل الهادي عراب

ذات مرة كنت في نادي الصيد والرماية القريب من الإذاعة احتسي بعض قناني الجعة فاقترب مني رجل مباحث يعرفني ولا يعرف أنني أعرفه حياني فتفضلت به وطلبت له مشروباً ثم أخذنا نتحدث معا في بعض الأمور العادية وعندما التفت لأكلم شخصا أعرفه من رواد النادي أدخل الرجل يده في جيب الجاكتة وسحب ورقة من ذلك الجيب ودسها في جيبه، لاحظت ذلك لكنني لم ألفت نظره إلى ما فعل إلا إنه عندما أخذ يستأذن لينصرف قلت له: أعد إلي الورقة التي أخذتها من جيبي فهي لا تفيدك في شيء أنها جدول تناوب المذيعين، وكان الرجل واسع البال فضحك وأعاد إلى الورقة، وذات مرة عندما كنت أسير على قدمي في قرقارش استوقفني رجل عجوز لم أعرفه وقال بعد أن سلم علي.

- أن أطلب منك أن تدعو لي بالسماح فأنا على أبواب القبر كما ترى قلت له: مذهولا.
- لا يا راجل ماذا بيني وبينك فأنا لا أعرفك لا مؤاخذة..
- قال: صحيح أنت لا تعرفني لكنني أنا رجل مباحث متقاعد وقد كلفت عدة مرات وأنا في العمل بمراقبتك وكتابة تقارير عنك ويشهد الله أنني لم أفتر عليك بشيء وكنت أقول الحقائق متجنباً قدر الإمكان ولا أضرك بكلمة..

فعانقته بحرارة وقلت له أن الله سبحانه سيسامحك قبل أن اسامحك أنا فأنت كنت تؤدي واجباً وظيفياً ودعوت له طويلاً ومن كل قلبي بالسماح ولم أكن لأحرج الرجل فاسأله عن اسمه ولكي لا يظن بي الظنون، وافترقنا وأنا أفكر في مثل هذه النماذج الطيبة التي ربما أجبرها الزمن على عمل لعلهم لا يحبونه كثيراً أو لأنهم كانوا مضطرين من أجل لقمة العيش».

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE